النجف الأشرف

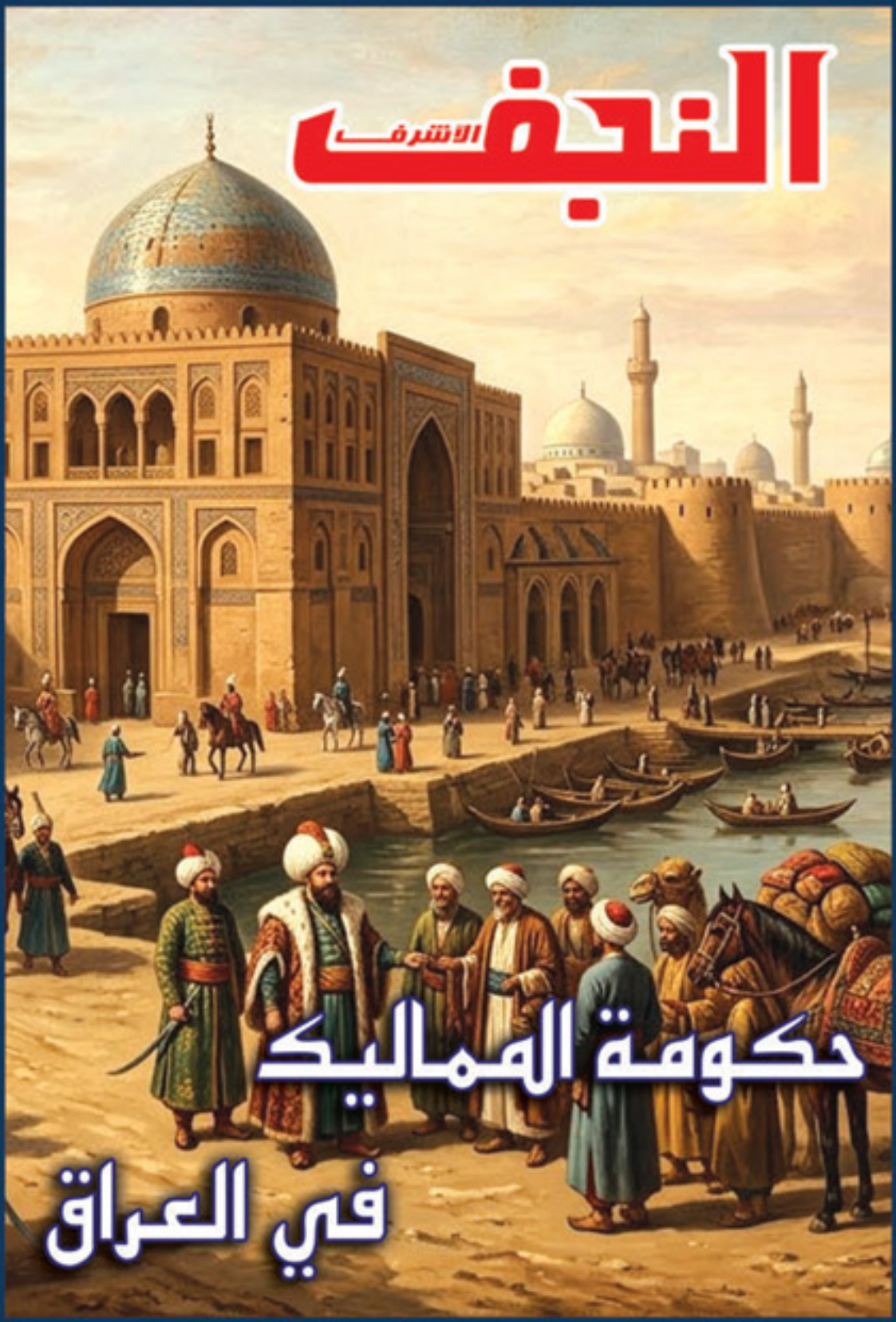

حكومة المماليك في العراق

السنة (20) الثانية والعشرون . العدد (259) . ربيع الأول 1447 . أيلول (9-2025)
22th Year Issue No: 259 - 2026

شركة الكفيل للاستثمارات العامة

Al Kafeel
Energy Solutions

المبيعات: 07746611071

الكادر الهندسي: 07746611070

الموقع الالكتروني:

https://alkafeelinv.com/new

الطاقة الشمسية
حل وحيد لمشاكل عديدة

باشرت ملاكات شركة الكفيل للاستثمارات العامة في العتبة العباسية، بنقل تجربتها في استخدام الطاقة الشمسية إلى مشروع العوالي الزراعي في محافظة كربلاء المقدسة. وتعد "منظومات الطاقة الشمسية من أهم مصادر الطاقة الصديقة للبيئة، لكونها خالية من الانبعاثات"، مشيراً إلى أن "المواد الخاصة بالمنظومات يتم تجهيزها من مناشئ عالمية رصينة تطابق المواصفات المطلوبة، يتم فحصها قبل تركيبها فضلاً عن المتابعة المستمرة للمنظومات بعد التركيب من قبل ملاكات متخصصة

للطلب والاستفسار :

مراسلة الصفحة أو الاتصال على

الكادر الهندسي : 07746611070

المبيعات : 07746611071

النجف الأشرف

شهرية- اجتماعية - ثقافية - عامة - أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

مجلة النخبة الثقافية العراقية

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد، رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩

العدد (٢٥٩) شهر ربيع الآخر ١٤٤٨هـ

٦ الخطاطون

شجون المداد وحكايا الورق النابضة

١٨ فلوكلور

العناوين العشائرية ـ عبد الحسين الساعدي

٢٤ حديث الصورة

تناغم الحضارة الاسلامية تحسين عمارة

٣٦ طب

دم الإنسان ـ مسلم القراغولي

٤٨ آلة الزمن

مختصر أخبار حكومة المماليك في العراق

٥٨ نجفيات

اسماء البيوتات النجفية بين الرمزية والواقعية

٦٦ مقالات

الفقر والجهل والعاطفة الثالوث المظلم

٧٢ قراءة في كتاب

وحيدًا يموت الإنسان ـ عدنان الياسري

رئيس مجلس الإدارة: السيد محمد حسين العميدي

رئيس التحرير: ليث الموسوي مدير التحرير: غيث شُبّر

الإخراج الفني: لبنان بيروت مقداد غرافيك سوسن مقداد

شروط النشر في المجلة أن لا تكون المقالة منشورة سابقًا، وأن تكون بين ٥٠٠ إلى ٤٠٠٠ كلمة، وترسل للعناوين أدناه، مع السيرة الذاتية للكاتب. المجلة غير ملزمة ببيان سبب رفض المقال.

Website: www.alnajafalashraf.net
www.alnajafalashraf.org
E.mail: najafmag@gmail.com
P.O.Box: 365
مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد النجف الأشرف
حي الحسين(ع) ـ شارع البلدية

اتصل بمجلة النجف الأشرف

+ 964 780 779 0073

مجلة النجف الأشرف

من أنت ؟

منذ فجر التاريخ، استمرت محاولات الفلاسفة في سبر أغوار (الأنا)؛ فأفلاطون اعتبر الجسد وعاءً لها، وأرسطو رآهما متكاملين كالعين والإبصار، وتواصل هذا البحث مع ديكارت، ثم فيشته وشتيرنر، وصولاً إلى سارتر.

وتكمن المشكلة في أن (الأنا) -رغم كونها جوهر ذواتنا- تُختزل غالباً في إجابات سطحية كالاسم أو الصفة عند السؤال: (من أنت؟)؛ وهي تعريفات عرضية لا تمسّ شغاف الحقيقة. إن معرفة الذات ليست ترفاً فكرياً، بل هي الأساس الذي يقف عليه الوجود الإنساني، وبمقدار عمق هذه المعرفة نفترق عن بقية الكائنات في مسارنا الذهني الذي شاء الله أن يجعله في أحسن تقويم.

ولا يخفى على القارئ الحصيف أن من أجدى طرق الاستدلال في المفاهيم والذوات غير المحسوسة، هو الانتقال من الأثر إلى المؤثر، ومن المعلول إلى العلة عبر (الطريق الإنّي)؛ وهي طريقة معرفية تُثمر بصائر عميقة تتجاوز حدود المعارف الحسية المحضة.

وإن أهم مادة خام من تلك الآثار لنفس الإنسان هي مراقبة الحوارات الداخلية التي يجريها مع ذاته؛ فتسليط الضوء على هذا الحديث المكتوم يكشف لنا خبايا لم تكن في الحسبان عن نفسٍ نظن أننا أخبر الناس بها، بينما الحقيقة أننا قد نكون أشد الناس جهلاً بما يجول في دواخلنا.

فلنسلك طريق المعرفة بمتابعة هذا الصدى الداخلي، لنسبر غور النفس ونرتقي بها نحو الكمال، مغادرين أدراج الجهل بما يعتريها من نقص وأمراض؛ فسلامة النفس هي عين السعادة، وسقمها هو عين الشقاء، ولا أجد ختاماً أبلغ من القول: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

غيث شبر

إضاءات على مسيرة الخطّاط غانم فاضل الحجَّاميّ

شجونُ المدادِ وحكايا الورق النابضة..

بقلم : رحيم رزاق الجبوري

منذ أن خطّتْ زميلة له في الصف الأول الابتدائي حرف اللام بخط النسخ، بدأت الحكاية التي تحولت لاحقا إلى مشروع عمر كامل. ذلك المشهد البسيط أيقظ في داخله سؤالا ظل يرافقه سنوات طويلة: كيف رُسِمَ هذا الحرف بهذه الدقة والجمال؟! حاول الطفل آنذاك تقليده، فنجح، لتكون تلك اللحظة، الشرارة الأولى لمسيرة فنية امتدت لعقود، حمل خلالها «الخطّاط العراقيّ غانم فاضل هنيدي آل صحن الحجَّاميّ» تقاليد وإرث الخط العربي، جامعا بين الدراسة الأكاديمية، والممارسة العملية، والمشاركة في أبرز المسابقات والمعارض المحلية والدولية، إلى جانب امتلاكه رؤية فكرية ونقدية خاصة بشأن واقع الخط العربي ومدارسه ومستقبله.

البدايات الأكاديمية وإشكالية التصنيفات

في حديثه، لـ(مجلة النجف الأشرف)، يوضح فاضل أن بدايته الحقيقية في دراسة الخط كانت بعد خمس سنوات من تلك التجربة الأولى، قبل أن يكمل مشواره الأكاديمي في كلية الفنون الجميلة – قسم الخط العربي والزخرفة – جامعة بغداد، ليتخرج عام ٢٠٠١، ويواصل رحلته الفنية بثبات. رافضًا بشكل قاطع ما يطلق عليه البعض مسميات «المدرسة البغدادية» أو «التركية» أو «النجفية» أو «الأربيلية»، عادا هذه التصنيفات، بأنها لا تستند إلى دراسة علمية أو تحليل معرفي أو مقارنة دقيقة، بل جاءت نتيجة اجتهادات فردية وأحيانا من أشخاص أخفقوا في ميدان الخط فاتجهوا إلى التنظير.

جذور القواعد وأصول المدرسة البغدادية

فاضل، يشير إلى أن كثيرا ممن يصفون أنفسهم برواد المدرسة البغدادية يكتبون في الحقيقة على القواعد ذاتها التي كتب عليها كبار الخطاطين الأتراك، مثل: سامي أفندي، وأحمد كامل، ومحمد نظيف بك، وحامد الآمدي، ومحمد شوقي أفندي، مؤكدا أن هذه القواعد تعود في أصلها إلى المدرسة البغدادية التاريخية الممتدة إلى ابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصمي، والتي انتقلت إلى الدولة العثمانية قبل نحو ستة قرون بعد رحلة تطور استمرت قرابة أربعة قرون.

عالمية الحرف ومواجهة التشكيك

ويرى أن الخط العربي لا يمكن احتكاره من دولة أو منطقة أو مدرسة بعينها، وأن الموهبة والإبداع يوجدان في جميع أنحاء العالم، مؤكدا أن الفائز بالمركز الأول في مسابقة عالمية اليوم قد لا يحقق النتيجة نفسها في مسابقة أخرى، لأن التفوق يرتبط بجودة العمل لا بجنسية الخطاط.

ويتحدث هنيدي بصراحة عن الجدل الذي يرافق مسابقات الخط العربي، موضحا أن أغلب من يهاجمون نتائجها هم ممن لم يتمكنوا من إنتاج لوحة متقنة، فيلجأون إلى التشكيك بالمسابقات وبالمحكمين، ويزرعون أوهاما لدى الشباب بأن الفوز

لا يتحقق إلا بالعلاقات الشخصية، وهو ما تسبب -بحسب رأيه- في ابتعاد عدد من الموهوبين عن المشاركة.

أهمية المسابقات ومعايير النزاهة

يشدد هنيدي، على أن المشاركة في المسابقات ضرورة لكل خطاط، سواء حقق الفوز أم لم يحققه، لأنها تمثل مدرسة عملية للتدريب، واكتشاف أسرار الورق والحبر، وتطوير المهارة، وصقل اليد استعدادا للاستحقاقات المقبلة. كما يدعو إلى تطوير آليات التحكيم، من خلال عدم إعلان أسماء المحكمين قبل انتهاء التقييم، وإلزام المحكمين بإبلاغ تلامذتهم في حال اختيارهم ضمن لجنة التحكيم، حفاظا على الشفافية والأمانة، مستشهدا بموقف أستاذه الدكتور روضان بهية، الذي أخبره ذات مرة بأنه لا يعلم شيئا عن شروط إحدى دورات مسابقة «أرسيكا»، رغم أنه كان أحد المحكمين فيها، في مثال يراه نموذجا للنزاهة المهنية.

مسيرة العطاء والإنجازات الدولية

كانت أولى محطات النجاح بالنسبة إليه عام ١٩٩٣، عندما أحرز المركز الأول على مستوى المدارس الإعدادية في محافظة ذي قار، ثم المركز الثاني في العام التالي، قبل أن يشارك في سلسلة طويلة من المسابقات، أبرزها

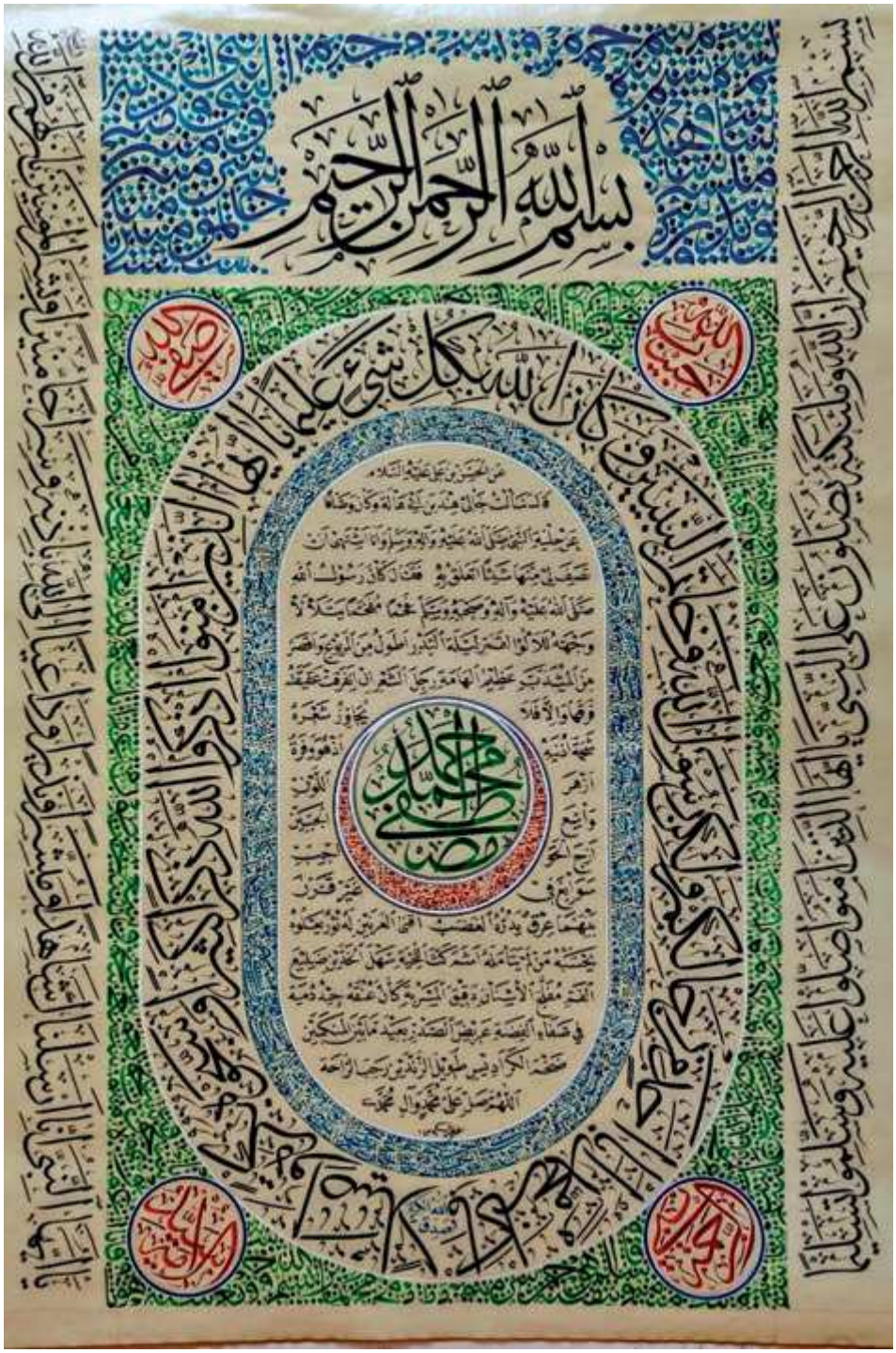
بسم الله الرحمن الرحيم

مسابقة السفير الدولية في خطوط الثلث الجلي، والديواني، والكوفي القيرواني، والنسخ، حيث نال الجائزة التشجيعية الدولية في مسابقة السفير لعام ٢٠٢٦، فضلا عن مشاركاته في مسابقات «وارث» و«زين العابدين». كما شارك في معارض فنية أقيمت في تركيا، وإيطاليا، وإيران، ومصر، والولايات المتحدة الأمريكية، وباكستان، والأردن، ولبنان، وسوريا، والإمارات، وسلطنة عمان، وقطر، والجزائر، وغيرها، مؤكدا أن جميع تلك المشاركات شكلت محطات مهمة في مسيرته الفنية المستمرة.

رؤية نقدية وتقييم موضوعي

يرى هنيدي أن واقع الخط العربي في العراق جيد جدا، وأن أبرز التحديات التي تواجه الخطاطين هي تحديات ذاتية، تتمثل في انشغال بعضهم بالمردود المالي على حساب الإتقان، مؤكدا أن أدوات الخط أصبحت اليوم متوافرة بصورة أفضل بكثير مما كانت عليه في الماضي. مؤكدا أنه لا يوجد تميز مطلق لخطاطي العراق على حساب بقية بلدان العالم، فالإبداع موجود في كل مكان، ولا يمكن نسبة التفوق إلى دولة بعينها، لأن الخط في جوهره موهبة فردية تتفاوت مستوياتها بين شخص وآخر.

محاذير الإعلام ونهضة إندونيسيا الخطية

كما يوجه رسالة إلى الصحفيين والإعلاميين، داعيا إلى الابتعاد عن استخدام مصطلحات مثل «المدرسة البغدادية»، و«التركية»، و«النجفية»، من دون أسس علمية، لأن مهمة الصحفي هي نقل الوقائع، أما إطلاق التصنيفات فيجب أن يستند إلى البحث العلمي والتحليل المتخصص. ويتوقف هنيدي عند التجربة الإندونيسية، معربا عن إعجابه بما وصلت إليه من مستوى متقدم في تعليم الخط العربي، نتيجة اعتماد الدراسة الأكاديمية الصحيحة والتتلمذ على أيدي كبار الخطاطين، مشيرا إلى أن

رؤية مئات الطلبة يفترشون الأرض داخل قاعات الدراسة وينجزون أعمالا متميزة تمنح انطباعا بأن إندونيسيا أصبحت قوة صاعدة في عالم الخط العربي.

سلاح الفاشلين ونقد التكنولوجيا

هنيدي يصف الاتهامات التي تطلق ضد الأعمال الفائزة في المسابقات قبل الاطلاع عليها بأنها «سلاح الفاشلين»،

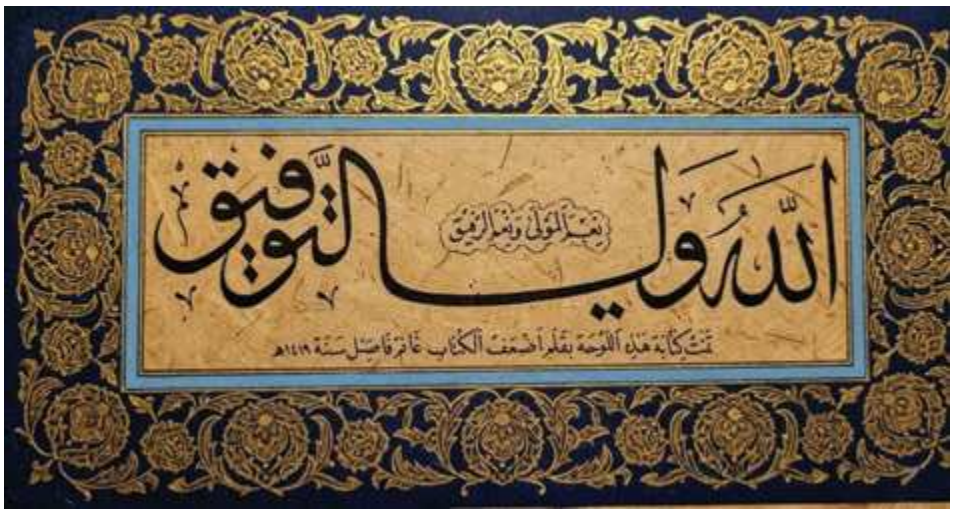

لافتا إلى أن الحديث عن السرقة الفنية لا يكون مقبولا إلا عند وجود دليل واضح، أما إطلاق الاتهامات بشكل مسبق فهو يسيء إلى الفن والخطاطين. كما ينتقد رفض بعض الأشخاص للاستفادة من التقنيات الحديثة والأجهزة المساعدة في تنفيذ الأعمال الخطية، متسائلا: إذا كانت التكنولوجيا مرحبا بها في مختلف المجالات، فلماذا تُرفض عندما يستعين بها الخطاط ضمن الضوابط الفنية؟ ويشير إلى أن بعض المشككين تجاوزوا

ذلك إلى الطعن حتى في مسابقات الكتابة المباشرة، مبينا أن الانشغال بآرائهم لا يخدم الحركة الخطية، مع ضرورة توعية الشباب بخطورة هذه الأفكار.

أصالة القواعد وتوظيف الحروف

ويتابع هنيدي، حديثه إذ يقول: ان جميع أنواع الخط العربي صعبة وسهلة في الوقت نفسه، فالصعوبة تظهر عند ضعف الموهبة وقلة التدريب، بينما تصبح الكتابة أكثر يسرا مع كثرة التمرين والإتقان. كما يرفض فكرة وجود ريادة دائمة لدولة معينة في الخط العربي، موضحا أن متابعة نتائج مسابقات «أرسيكا» وغيرها من المسابقات العالمية

تثبت أن التفوق يتنقل بين مختلف البلدان وفقا لمستوى الأعمال المشاركة. وفي تعليقه على الفن التشكيلي، يرى أن رسم الحروف وتوظيفها في اللوحات يمنح أعمالا جميلة في نظر عامة الناس، غير أن الخطاط المتقن ينظر إليها بمنظار مختلف، لأن الجمال الحقيقي يبدأ من الالتزام بقواعد الخط وإتقانه.

أعراف المهنة ووصايا الرواد

يثمن غانم، ما يحققه الخطاطون الشباب من إنجازات وجوائز، لكنه يأسف لغياب بعض الأعراف المهنية لدى قسم منهم، ومنها ضعف التواصل مع الأساتذة، والانعزال عن أصحاب الخبرة، فضلا عن إصابة بعضهم بالغرور بعد إنجاز عدد محدود من الأعمال، وعدم تقدير جهود الرواد الذين قدموا عشرات اللوحات وأسهموا في بناء الحركة الخطية. مشددا على أهمية الوفاء للمعلم، مستذكرًا المقولة الشهيرة: «من علمني حرفا ملكني عبدا»، مؤكدا أن احترام الأستاذ قيمة أخلاقية قبل أن يكون واجبا مهنيا.

بين الاحتراف والإجازة

وعن الذكاء الاصطناعي، يرى أنه مهما بلغ من تطور فلن يستطيع أن يحل محل الخطاط الحقيقي، لأن الحرف العربي

ليس مجرد شكل، وإنما روح وفكرة وتركيب وإحساس، في حين يعتمد الذكاء الاصطناعي على تحليل المواد المنشورة مسبقا دون أن يمتلك الحس الإبداعي الإنساني. ويفرق هنيدي بين مفهوم الاحتراف والإجازة في الخط العربي، موضحًا أن الاحتراف يعني اتخاذ الخط وسيلة للرزق وكسب العيش، بصرف النظر عن مستوى الإتقان، بينما تمثل الإجازة شهادة علمية وأخلاقية تؤكد وصول الخطاط إلى مرحلة تؤهله لحمل أمانة هذا الفن ونقل قواعده إلى الأجيال المقبلة وفق السند المتصل الذي ينتهي بالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). لافتا في ختام حديثه إلى أنه لا توجد معايير ثابتة لما يسمى

بـ«الخطاط العالمي»، لعدم وجود خطاط قد أتقن جميع الخطوط العربية إتقانا كاملا؛ مبينا أنه يعمل منذ ستة عشر عاما على نيل الإجازة في ما لا يقل عن عشرة خطوط على يد أستاذه الدكتور روضان بهية وعدد من كبار الأساتذة.

مسيرة وعطاء وإبداع

ينتمي «الخطّاط غانم فاضل هنيدي آل صحن الحچّاميّ» إلى مدينة سوق الشيوخ في محافظة ذي قار، وهو من مواليد عام ١٩٧٥، ويحمل شهادة البكالوريوس في الخط العربي والزخرفة من كلية الفنون

الجميلة بجامعة بغداد. ويضم سجله الفني العديد من الإنجازات، من أبرزها إحراز المركز الأول على مستوى إعدادية محافظة ذي قار عام ١٩٩٣، والمركز الثاني عام ١٩٩٤، والجائزة التشجيعية في خط النسخ بمسابقة السفير الدولية عام ٢٠٢٦، إلى جانب مشاركاته في مسابقات السفير الدولية، ووارث، وزين العابدين. كما شارك في معارض مهمة، منها معرض الخط العربي والزخرفة بمدينة بيسكارا الإيطالية عام ٢٠٠٢، ومهرجان دار السلام الثالث في بغداد عام ٢٠٠١، ومهرجان مجلة الكوثر عام ٢٠٠٢، ومعارض الحلية النبوية في لندن، وأنقرة، وآيا صوفيا، والدوحة عام ٢٠١٦، ومعرض الفن الإسلامي في أنقرة عام ٢٠١٨، فضلا عن نحو عشرة معارض في محافظة ذي قار، ومعرض الرواد في بغداد عام ٢٠١٥. وأنتج أكثر من ألف لوحة فنية تمزج بين الخط العربي والزخرفة والريادة المعمارية الإسلامية، تنتشر في العراق وعدد كبير من الدول العربية والأجنبية، منها الكويت، والسعودية، وسلطنة عمان، والأردن، ولبنان، وسوريا، والإمارات، وقطر، والبحرين، وإيران، وباكستان، وتركيا، ومصر، والجزائر، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا. كما شارك في جميع معارض البوستر الوطني في قضاء سوق الشيوخ بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠١٨، ويعمل حاليًا مدرسًا للتربية الفنية، ومُحكِّما في المعارض الفنية، وشارك في أربع دورات تدريبية لتأهيل المدرسين، فضلا عن خبرته في إعداد الورق المقهر المستخدم في الخط العربي والزخرفة، وتحضير الألوان الخاصة بالأعمال الفنية المنفذة على القماش (الكانفاس).

العناوين العشائرية

عرض وتوضيح

بقلم: عبد الحسين الساعدي

العشيرة هي مجموعة من الناس تربطهم علاقة النسب، أي ينحدرون من جد واحد، أو علاقة الولاء (الجرش)، أي مجموعة من الناس أو أفراد يتحدون مع عشيرة أخرى أو ينضمون لها وفق اتفاق خاص بينهم، والعشيرة مثل أي تكتل بشري، تحكمها قوانين (سناين أو سواني)، وفيها مجموعة عناوين، من خلالها يقوم الفرد من أبنائها بمسؤولية الخاصة وفق اعرافها واحتياجاتها، وسنذكرها -هنا- مع بيان مهام كل واحدة منها، وللتنويه نقول بأن كلامنا يخص العناوين العشائرية قبل انقلاب ١٩٥٨ أي قبل أن يفقد المجتمع العشائري خواصه.

وفيما يلي بيانٌ لأبرز هذه العناوين والوظائف العشائرية، مرتبةً بحسب موقعها في الهيكل الاجتماعي للعشيرة وأهمية دورها في إدارة شؤونها:

اولها: الشيخ، وهو رأس الهرم العشائري، وزعيمه، وقد تكلمنا عن صفاته وآليه اختياره ومهامه في العدد ٢٣٠ من مجلتنا هذه.

ثانيها: الفريضة، وهو القاضي، ومعنى الفريضة مأخوذ من الفرض؛ لأن أحكامه مفروضة على من يترافع عنده، ولا يشترط أن يكون شيخا، والمهم أن يكون من العوائل ذات الشرف، ومعروفا بالمروءة (البخت)، وعالما بالقوانين (السنايين أو السواني) والأعراف (العادات والتقاليد) العشائري، والفريضة ليست منصبا وراثيا، وإن كان الغالب بها أخذ الولد منصب أبيه إن كان حاملا لصفاته.

وليس بالضرورة أن يكون لكل عشيرة فريضتها الخاص، بل كثير من العشائر لا فريضة فيها، فإنه وإن كان فخرا لعشيرته، إلا أنه لا يختص بعشيرة ومنطقة معينتين.

ثالثها: الحاسوب والعارفة، وهو الشخص الذي يتقن حساب الأيام، وعارفا بدخول البرد والحر، وزمن الزراعة والحصاد، وحركة النجوم وغيرها، وهو غير الحكيم الذي يعرف الأمراض وعلاجها، ولا يشترط أن يكون بكل عشيرة حاسبها وعارفها، بل هو مثل الفريضة.

رابعها: الملا، وهو كاتب الشيخ وحافظ سره، وبعض مهامه تشبه لحد كبير مهام مدير الأعمال (السكرتير) في زماننا، ولا يشترط أن يكون من

العشيرة نفسها، فالمهم أنه عارف بالقراءة والكتابة، والإنشاء، والحساب، وغالبا ما يكون قد درس في الحوزة العلمية، ولو يسيرا، وهو غير الملا الذي يعلم الصبية القراءة والكتاب، وكل متدين، من غير رجال الدين، يسمى ملا.

خامسها: السركال، وجمعها سراكيل، وهو القائم مقام الشيخ أو نائبه بإدارة بعض أمور العشيرة وأراضيها، وبعضهم يطلق هذا العنوان على زعماء الأفخاذ، الذين يسمون الآن شيوخا، وكلمة سركال ليست عربية، ولعلها فارسية أو هندية.

سادسها: المامور، ويجمع موامير، وهو الشخص المأمور من قبل الشيخ، والذي ينفذ أوامره، ومهمته تشبه مهمة الشرطي في الأنظمة الحكومية.

سابعها: الحوشية، ومفردها حوشي، وهم الحاشية، حاشية الشيخ وبطانته.

ثامنها: السربة، وهي مجموعة من الناس ترافق الشيخ في تنقلاته، فمن المعيب أن يتنقل الشيخ من دونهم.

تاسعها: المهوسچي، وجمعها مهوسچية وهو المهوال (مهاويل)، أي الذي يلقي الاهازيج، وهو غير الشاعر، فرب شاعر لا يجيد فن الاهزوجة، وكذا العكس.

عاشرها: البيرغچي، وجمعه بيرغچية، وهو حامل البيرق، ويشترط به أن يكون قويًا جسديًا، وشجاعًا مقدامًا، وعارفًا

بفن تحريك البيرق، فإن له حركات فنية خاصة، والبيرق هو شرف العشيرة وسقوطه أرضا، ان كان في مناسبة ما، فيعد إهانة للعشيرة، وإن كان في معركة فهو الهزيمة.

الحادي عشر: العجيد (العقيد) ويجمع عجدا (عقداء)، وهم قادة الجيش، والذي هو عموم ابناء العشيرة، ممن يقدرون على حمل السلاح، وفي النظام العسكري العشائري تفاصيل كثيرة، نتركها لعنوان مستقل، إن شاء الله تعالى.

الثاني عشر: الدهدار، هو المسؤول عن سقي المزارع ورعايتها، ويشترط به أن يكون عارفا بالزراعة، ومعايير المياه.

الثالث عشر: عموم العشيرة، وهم فلاحون إن كانت العشيرة قروية، أي من سكنة الأرياف، ورعاة إن كانوا بدوا أو غنامة أو معدانا.

الرابع عشر: العبد، مفرد عبيد، وهو الملوك (مماليك أو مملوكون)، وهذا يكون منصبه حسب همته فالعبد (لو طحان لو طعان) أي أنه إما وضيع يعمل الا عمال الحقيرة مثل طحن الحبوب، وإما صاحب همة عالية فيتسنم المناصب الرفيعة في العشيرة، غير منصب الشيخة، فصفة طعان تعني كثير الطعن، وهي كناية عن الفروسية، فكم من عبد صار عقيدا أو مأمورا أو ملا أو حتى سركال.

السادة والموامنة: السادة جمع سيد، وهم ذرية رسول الله الأكرم صلوات الله عليه وآله، والموامنة جمع مومن أي رجال الدين، و كل عشيرة تفتخر بعدد السادة ورجال الدين الذين يشرفونهم بالسكن معهم، حتى أنهم يخصصون لهم أراضي زراعية ومواشي؛ كي يعتاشوا منها من غير منة أي شخص عليهم، ولا يصير فوقهم مسؤول يتحكم بهم أو يصدر الأوامر لهم.

ولا يشترط برجل الدين أن يكون من العشيرة عينها، بل هو محل احترام وإن كان من عشيرة تعادي العشيرة التي يسكن بها.

وكل ما ذكرنا –طبعا من غير السيودية– هي مناصب أو عناوين المعيار في تسنمها مؤهلات الشخص ولياقته، ولا دخل للوراثة فيها، نعم، الشيخ فقط يشترط أن يكون من بيت المشيخة، على تفاصيل بيناها في مقالة الشيخ وصفاته.

الحلقة الرابعة

تناغم الحضارة الإسلامية مع الحضارات الأخرى

الطب والصيدلة والبيطرة

المهندس الاستشاري تحسين عمارة

الطب

كان الطب في الجاهلية يقتصر على التجارب والتعاويذ، والسحر والكهانة، والتداوي ببعض الأعشاب ولخص معظمه بالكي بالنار، حتى قيل آخر الدواء الكي.

أما بعد الفتوحات الإسلامية فكان الاتصال بالعلماء الأوائل وهم الأطباء عندما اتخذوا منهم أطباء لهم، فكان عبد الملك بن أبجر الكناني طبيب عمر بن عبد العزيز (ت:١٠١هـ/٧٢٠م) والذي أسلم على يده.

لقد صرحت طائفة كبيرة من الأحاديث الشريفة على أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لهم المعرفة الكاملة والاحاطة الشاملة بجميع علوم الدنيا ومنها الجانب الطبي، ومن ذلك كتاب: طب الإمام الصادق عليه السلام للعلامة الخطيب السيد محمد كاظم القزويني وهو يحتوي على ما روي عنه عليه السلام حول الطب

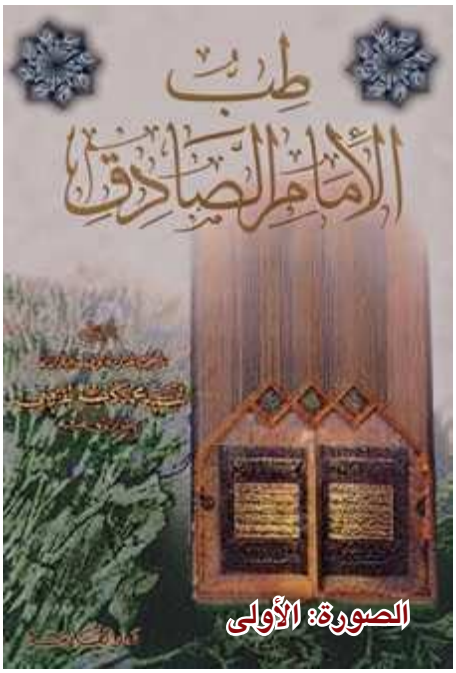

الصورة: الأولى

وما يتعلق به كتشريح جسم الإنسان، وبيان بعض زواياه وخفاياه، وذكر الأمراض والأسقام، والداء والدواء، والمرض والعلاج، والاستشفاء بالآيات القرآنية والأدعية الشريفة والأدوية والأعشاب، وغيرها من الأمور التي تدور في هذا الفلك. (الصورة الأولى)

ثم كان الاهتمام بأعمال الأطباء الاغريق والرومان القدماء، فقد نهض الاغريق في الطب أكثر مما نهضوا بالعلوم الأخر، وقاموا بترجمة كتب اليونان الطبية، وخاصة كتب أطباء اليونان مثل أبو قراط (ت: ٣٥٧ ق. م.) الذي ذكره ابن نباتة المصري (ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م):

الصورة: الثانية

الصورة: الثالثة

عن الحال يا سيدي لا تسل
ولا عن طبيبي المقلّ اليدين
بطبٍّ (أبقراط) وافى إليّ
وراح و لكن بخفيّ حنين

والطبيب الشهير جالينوس (١٢٩ - ٢١٦م) (الصورة الثانية) وهو الذي ذكره الكثير من الشعراء ومنهم قول المتنبي:

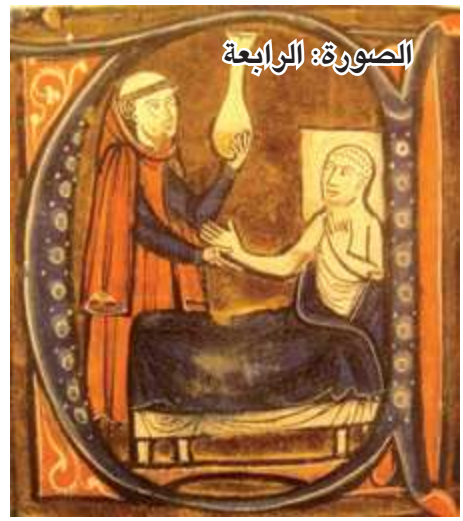
الصورة: الرابعة

يَموتُ راعي الضَأنِ في جَهلِه
مَوتَةَ (جالينوسَ) في طِبِّهِ

وهي التي نقلها السريان إلى لغتهم في مدرسة جنديسابور (الصورة الثالثة) التي فروا إليها هربا من البيزنطينيين، وكانت تلك الترجمات الأولى عاملا أساسيا لتكوين الطب الإسلامي، أي الطب الذي أنتجته الحضارة الإسلامية وكتب باللغة العربية لغة العلم والتواصل المشترك زمن الحضارة الإسلامية. وفي العصر العباسي تطور الأمر بعدما تم نقل العلوم الطبية من مصادرها اليونانية مباشرة على أيدي بعض الأطباء الذين حذقوا اليونانية كآل بختشيوع وحنين بن اسحاق، وانتشرت مهنة الطب حتى بلغ عدد الأطباء في بغداد أكثر من ٨٦٠ طبيبا في في بداية القرن الرابع

الهجري/ العاشر الميلادي. ومن أشهر الأطباء:

الرازي: أبو بكر محمد بن زكريا (٢٣٥ ـ ٣١١هـ)/(٨٥٠ ـ ٩٢٣م) ولد في الري من أعظم أطباء العصور الوسطى، يقول عنه ابن النديم في الفهرست: «أوحد دهره وفريد عصره قد جمع بين المعرفة بعلوم القدماء ولا سيما الطب»

(الصورة الرابعة / تصوير غربي للرازي من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)

ويعتبر كتابه الحاوي كتابًا جامعًا ذكر فيه جميع الأقوال والتجارب التي سجلها غيره، قبل أن يفضي برأيه الخاص فيها. تمت ترجمته إلى اللاتينية سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م ونسخت منه نسخ كثيرة انتشرت في أوروبا، وكان من اوائل الكتب المطبوعة في سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م.

(الصورة الخامسة / صفحة من كتاب الحاوي)

ابن سينا: أو الشيخ الرئيس، أبو عبد الله الحسين بن عبد الله (٣٦٩ ـ

الصورة: الخامسة

الصورة: السادسة

٤٢٨هـ)/(٩٨٠ ـ ١٠٣٧م) من أهل بلخ ثم انتقل إلى بخارى، درس الكثير من العلوم، وكان شاعرًا له قصيدة في النفس لا تزال حتى اليوم من روائع الأدب. ثم درس علم الطب واستوعب الكتب المصنفة فيه، حتى أصبح ابن سينا أشهر الأطباء المسلمين. **(الصورة السادسة/ ابن سينا على طابع بريد إيراني عام ١٩٥٠. الصورة السابعة / صورة ابن سينا على العملة في طاجيكستان)**

ظل كتابه (القانون في الطب) العمدة في تعليم هذا الفن بعد ترجمته إلى اللاتينية في جامعات أوروبا حتى أواسط القرن السابع عشر الميلادي. **(الصورة الثامنة/ نسخة لاتينية من كتاب القانون في الطب ترجع للعام ١٤٨٤م محفوظة في جامعة تكساس الأمريكية)**

وكان طبعه مع كتب ابن سينا الطبية الأخرى يعاد حتى القرن الثامن عشر، ولم ينقطع تفسيرها في جامعة مونبليه إلا منذ بداية القرن الماضي **(الصورة التاسعة/ نسخة مخطوطة من كتاب القانون في الطب)**

الصورة: السابعة

الصورة: الثامنة

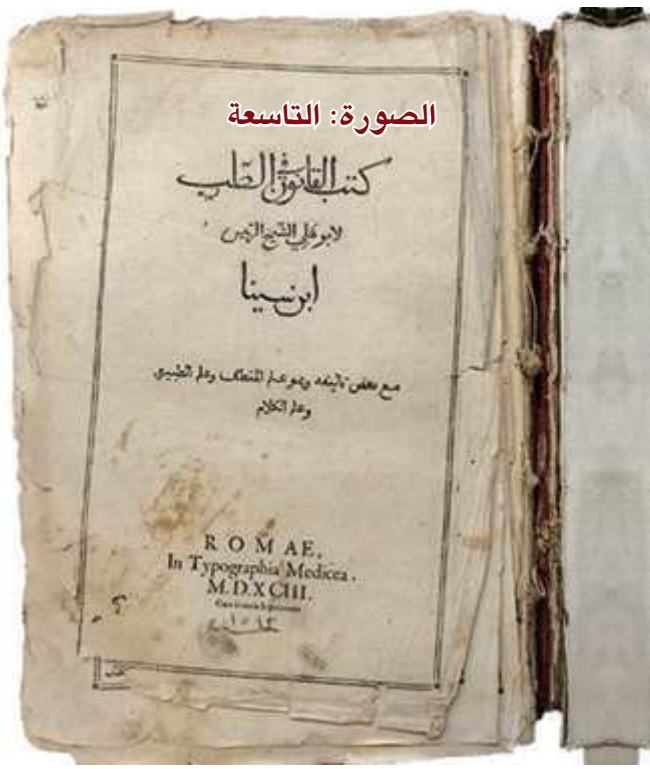

الصورة: التاسعة

أوروبا إلا في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وذاع صيته فيه قال العالم الفزيولوجي هالر: «كانت كتب أبي القاسم المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر».

والطبيب المسلم منصور بن محمد الكشميري من أهل شيراز له كتاب (تشريح بدن إنسان) ويسمى أيضا (تشريح منصوري) أول كتاب يعرض جسد الإنسان بشكل كامل، وهو عبارة عن خمس مقالات وخاتمة وعززها بصورة أو أكثر لكل مقالة. (الصورة الحادية عشرة)

الصورة: العاشرة

الصورة: الحادية عشرة

كان لإبي الحسن علاء الدين الخالدي المخزومي المعروف بإبن النفيس (ت:٦٨٧هـ/١٢٨٨م) فضل كبير في علم التشريح، ويعتبر مكتشف الدورة الدموية الصغرى. **(الصورة الثانية عشرة/ مقدمة كتاب طبي لإبن النفيس)**

وهناك مخطوطة تركية من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي فيها شرح لعملية جراحية. **(الصورة الثالثة عشرة)**

وفي مجال تشريح العين، كان لحنين بن اسحاق العبادي من أهل الحيرة ولد لأب يشتغل في الصيدلة

(ت:٢٦٠هـ/٨٧٣م) وهو الذي عرب كتب أقليدس له كتاب: المسائل في العين.

(الصورة الرابعة عشرة / مخطوطة من تشريح العين من كتاب حنين محفوظة في المكتبة الوطنية في القاهرة)

وقد لمع الأطباء المسلمين في طب وجراحة العيون (الكحالة) معتمدين على ما خلفه الحسن بن الهيثم البصري (ت:٤٣١هـ/١٠٤٠م) في هذا المجال من أعمال ظلت مرجعا حتى بداية العصر الحديث، يقول تشارلز سنجر: «كتاب إبن الهيثم المناظر في علم البصريات متقدم جدا عن علم اليونان في الموضوع،

الصورة: الثانية عشرة

الصورة: الثالثة عشرة

وليس له نظير قط بين مؤلفات اليونان جميعا».

واعتمادًا على أفكار ابن الهيثم أجرى تشريح العين كمال الدين الفارسي. (الصورة الخامسة عشرة)

وكان أشهر الكحالين هو علي بن عيسى البغدادي (ت: ٤٠٠هـ/١٠١٠م) له ٣٢ كتابًا في الرمد أهمها تذكرة الكحالين وصف فيه مائة وثلاثين مرضا من أمراض العين. تم نقله إلى اللاتينية مرتين.

والعلوم الطبية متطورة عند المسلمين بشهادة المشاركين في الحملات الصليبية فقد ذكر المؤرخ الفرنسي جان دي جوانفيل انه تم انقاذه على يد طبيب مسلم عام ١٢٥٠م.

وكانت الترجمات اللاتينية للأعمال الإسلامية أثرها البالغ في تطور الطب في نهاية العصور الوسطى، وبداية عصر النهضة، إذا علمنا ان في ذلك الوقت كانت الكنيسة الغربية تحرم صناعة الطب، لأن المرض عقاب من الله.

الصورة: الرابعة عشرة

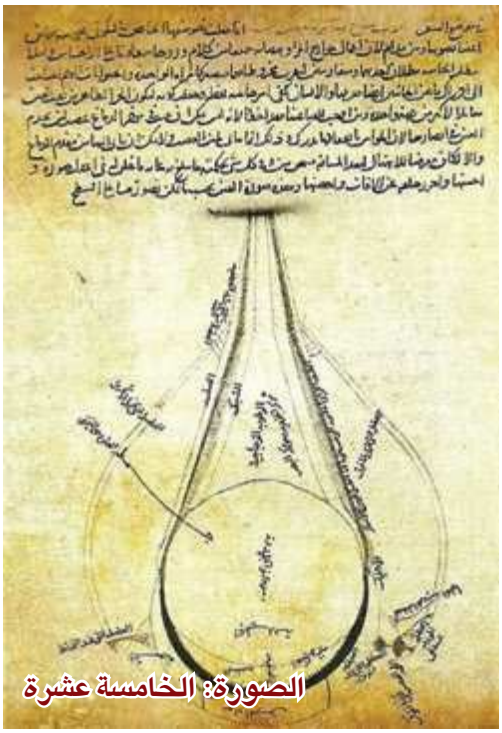

الصورة: الخامسة عشرة

التعبير بلغة السخرية

محمد حسن المولى

ما ينتشر في أوساطنا وبشكل ملحوظ هو أن المحيط الجمعي لغته هي اللغة الكوميدية التي يغلب عليها طابع السخرية، فالسؤال صار بصيغة ساخرة، والجواب بنبرة ساخرة، والتعبير عن المشاعر بألفاظ ساخرة، والحديث عن كل شيء وفي كل شيء لا يخلو طبعًا من السخرية، فكأنها صارت اللغة الرسمية لنا بيننا بظل ما نشاهده في الميديا من محتوى ساخر، وكأن عقولنا أصبحت مبرمجة على السخرية، فلو أن أحدًا يريد الحديث أمام اصدقاءه فإنه يخشى لبيانه وكلامه أكثر مما يخشى لأصعب المواقف في حياته، فإنه لو اخطأ في تعبير ما، أو ذكر كلمة معينة ممكن أن تؤول الى معنى آخر فإن ذلك سيكلفه الكثير والكثير.

لو تأملنا قليلًا في منصاتنا فإننا سنشاهد أكثر المشاهير صاروا مشاهير بسبب الكوميديا، وأن المحتوى الرائج هو محتوى كوميدي، وصارت تصف نفسها بأنها جمهورية تلقب نفسها بجمهورية (الميمز).

مصطلح الميمز لو بحثنا عن استخدامه الفعلي لوجدناه قبل الميديا وانتشار الانترنت، فعالم الأحياء البريطاني ريتشارد دوكينز استخدم هذا المصطلح في كتابه «الجين الأناني»، الصادر عام ١٩٧٦، لوصف انتشار الأفكار أو السلوكيات داخل المجتمع على غرار الجينات في التطور البيولوجي. ومع ذلك، دفع الإنترنت الميمز إلى بعد جديد تمامًا، وطورها بسرعة حتى أصبحت قوة دافعة في ثقافة الإنترنت، وسمة مميزة للثقافة المعاصرة.

فإن حضر سؤال في الذهن لماذا أغلب المحتوى الموجود بالسوشيال ميديا هو ساخر، ولماذا أغلب كلام الناس ساخر ويشكل أبعادًا مضحكة؟

في الحقيقة يجب أن نفهم كيف تصنع

السخرية، ولماذا أغلب الكلام يفهمه الناس على أنه ايحاءات مضحكة ويجب أن يحذروا في انتقائهم لكلماتهم. هذا في الواقع جاء نتيجة المفارقات الغير المتوقعة، التي تثير عند الانسان غريزة الضحك، وهذه المفارقات تأتي من عاملين:

العامل الاول: لغير المقصود (عفوي)

ينشأ هذا العامل من العفوية الحاصلة في المواقف المتشابهة بين الافراد، فلو ذكر صديقك موقفًا مضحكًا مرّ به، هذا الموقف اذا كان قد حدث معك فسيضحكك بشكل عفوي، وإذا نقلته لغيرك فإنه سيضحك لمجرد أنه قد مر به نفس الموقف، والتجارب المشتركة التي تصنع معاني معبرة بشكل مضحك لها دور كبير في انشاء لغة السخرية.

النكات والطرف تنتهي دائمًا بنهايات غير متوقعة فتجعل الذهن يشعر بمفارقة تدعو الفرد حينها الى الضحك، ومن خلال الملاحظة نرى دائمًا أن هذه النكات تبقى كلماتها البارزة (المفتاحية) عالقة بالذهن، فلو أخبرنا أحدهم بنكتة مضحكة جدًا عن القلم مثلًا وترددت هذه النكتة كثيرًا على مسامع الناس، فحتمًا سيبدو لفظ القلم هو من الالفاظ الساخرة والمضحكة بالنسبة للجميع؛ لأنها تذكرهم بنكتة ذلك القلم، وغيرها العديد من الأمثلة.

العامل الثاني: المقصود (مؤدلج)

والعامل المؤدلج هو عندما تستعمل الجهات المتطرفة الميمز كعملة رقمية هامة في تنفيذ أفكارها، ومن ثم تبدأ باستغلالها للإطاحة بكل ما لم تستطع الاطاحة به، فملًا الكثير من الجهات المعادية للطريق

الإيماني، حاولت أن تدمر بعض أنواع السلوك الإيماني، وتسيء الى أهم الرمزيات الدينية، كالشعائر الحسينية مثلا، لا سيما التي ترتبط بالتراث الأصيل، فبعد أن تبوء كل محاولاتهم بالفشل والاخفاق، نجدهم يستخدمون الميمز كعملة للإساءة لهم، فمثلًا يضع (اللطميات) على النكات المكتوبة والمضحكة، ويضع (دعاء الصباح) للمواقف والكلمات الساخرة التي يريد حجبها عن المشاهدين، ويضع (زيارات الائمة والادعية) على ما شابه ذلك.

وعندما يريد أن يجعل الناس يستخدمون كلمات كفرية في التعبير عن الاشياء صعبة الحصول، فتراه يضع على أحد المنشورات المكتوبة صوتا فيه ألفاظ فاحشة وكفرية لكن بنبرة كوميدية وهذا في الواقع دس للسم في العسل، وهو بطبيعة الحال لم يستعمل للمجتمعات الاسلامية المؤمنة فحسب، إنما تستخدمه حتى المجتمعات التي الأخرى، للإطاحة بأعدائها وتمرير الأفكار التي تريدها، في عام ٢٠٢٠، إذ أُقيم معرض فني في هونغ كونغ يكرم تاريخ ميمز الإنترنت القديمة والجديدة، ووُصف بأنه أول متحف للميمز في العالم، وضمَّ سبع مناطق رئيسية تعرض النكات الداخلية الأكثر شهرة على الإنترنت، وقيل عند الإعلان عن المتحف إن هدفه إعادة الفن إلى الحياة اليومية.

في العادة أغلب المنشورات التي تحمل محتوى ساخرًا أو مسيئًا تلاقي كمًا ليس قليلًا من التعليقات المعارضة، والحقيقة اليوم جمهور الشباب يتابعون التعليقات بشغف أكبر من متابعتهم المنشورات نفسها، فهذه التعليقات المعارضة التي قد تحمل وجهة نظر مخالفة، أو قد تحمل ألفاظ سب وشتائم، وكلامًا بذيئًا، وإهانة لأصحاب تلك المنشورات. لكن السؤال هو: هل هؤلاء المشاهير لا يشاهدون هذه التعليقات؟ حتمًا، هم يتابعونها بشدة ويقرأونها بدقة ويمعنون النظر فيها. إذن، لماذا لا يحذفونها؟

بعض خبراء الإعلام الرقمي قالوا إن التفسير الأعمق لهذه الظاهرة يتجاوز التبريرات غير المقنعة، وهو يشير إلى أن بعض الإعلاميين والمؤثرين يعتبرون التفاعل الرقمي، مهما كان نوعه سلبيًا أو جارحًا، أداة قياس حيوية لأهمية المحتوى ومدى انتشاره، وهو أهم بالنسبة لهم من الصورة الذهنية التي قد تتشكل ضدهم بسبب ما تضمنته التعليقات من شتم لهم، أو ذكر لتناقضاتهم ومواقفهم المتغيرة. فهم يدركون أن كل تعليق، حتى وإن كان مسيئًا، يساهم في رفع خوارزميات المنصة، مما يضمن بقاءهم في دائرة الضوء وتصدر المشهد.

دم الإنسان

مسلم عقيل القراغولي

الدم هو طريق المواصلات في الجسم، فيه الرسل تروح وتجيء، تطرق باب كل خلية، تزودها بالطعام، وتحمل عنها نفايات هذا الطعام، ورسل كرجال الشرطة تدور في أرجاء الجسم ليل نهار، فإذا هي صادفت خللًا بالأمن تصايحت يدعو بعضها بعضاً، لتدفع زمرة واحدة ذلك العدو الغازي، الذي نسميه مرضًا، وهو المرض الذي يعمله الميكروب في الجسم، وللدم مآرب أخرى، أدق غايةً، نذكرها في حينها.

وما من شيء في الجسم حي، إلا ويذهب الى خلاياه دم يحييها وينمّيها ويحميها. ويَسخن جزءٌ من الجسم، ويسخن جزء من الجسم درجةً أعلى، وجزء آخر يقف عند درجةٍ أوطأ. فيأتي الدم يسوي بين هذه الدرجات. والدم يؤلف نحو جزء من ١٣ جزءًا من وزن الرجل منا، فإن يكن وزنك ٦٥ كيلوجرامًا، كان وزن ما بك من دم نحو ٥ كيلوجرامات.

والدم سريع الدوران في الجسم، فلو أننا تتبعنا قطرة من الدم، في وريد بالعنق، متجهة نحو الجانب الأيمن من القلب، وسرنا وراءها وهي ذاهبة بعد ذلك الى الرئة في الصدر، فإلى الجزء الأيسر من القلب، فتخرج منه الى الرأس ترويه وتغذيه، ثم تعود الى الوريد الذي منه بدأنا متابعتها، لاستغرق كل هذا نحوًا من ٣٠ ثانية. وإذا نحن جئنا نتابع قطرة من الدم، في دورة أطول، من القلب الى القدم مثلًا، لاستغرق ذهابها وعودتها ما بين ٦٠ الى ٩٠ ثانية حسب طول الطواف الذي تطوفه وقصره.

دم الإنسان لونان، الدم المتزود بالأكسجين في الشرايين، أحمر قانٍ، وكلما قل اوكسجينه صار احمر غامقًا، ويزيد اغمقاقه حتى ليكاد يكون أسود اللون، وهو يرى في الأوردة بظاهر الجسم أزرق اللون.

أما كرات الدم فحمراء وبيضاء، والكرات الحمراء هي أكثر الكرات عددًا، والكرة الحمراء ليست بكرة، إنما هي خلية مستديرة كالرغيف، فهي خلية مفرطحة مقعرة الوجهين. وتظهر الحكمة في هذا التسطح عندما نذكر أن عمل الكرات الحمراء هو حمل الأكسجين من الهواء في الرئتين الى كل خلايا الجسم، فالخلايا تموت إذا لم يصلها نصيبها من الأكسجين، والذي يحمل هذا الأكسجين هي الصبغة الحمراء التي بالكرة الحمراء، وتعرف بالهيموغلوبين، وإذا جاء الدم الى الرئتين حمل الهيموغلوبين من هوائهما الأكسجين، ومضى به الى خلايا الجسم يوزعه عليها، وهو يأخذ من هذه الخلايا فضلاتها من أكسيد الكربون وماء، ويعود بهما مع الدم في دورته الى الرئتين، فيفرغ فيهما ما حمل من فضلات الحياة.

ومادة الهيموغلوبين تتركز أكثر على سطوح الكرة الحمراء لتأخذ أكثر ما تستطيع من أكسجين وهي في الرئة، وكلما

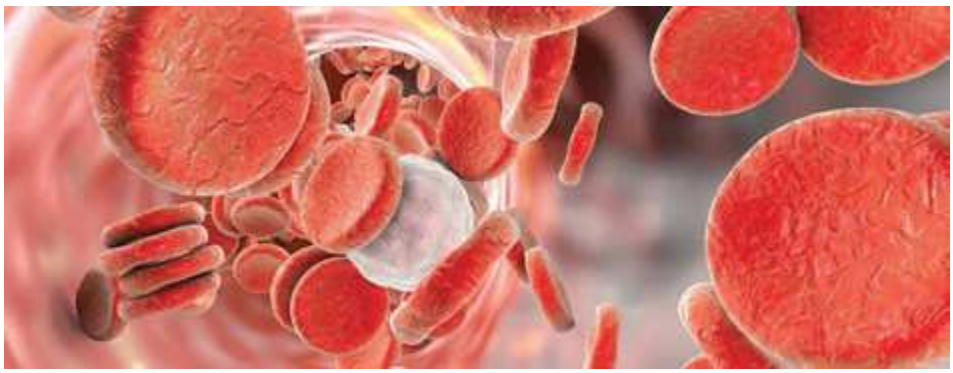

زادت هذه السطوح زاد حملها للأكسجين، وشكل الكرات الحمراء الذي وصفناه أعون ما يكون على زيادة حمل الأكسجين، وقد قدر العلماء أن هذه الكرات، لو كانت على شكل كرات حقًا، إذن لاحتاج الإنسان من هذه الكرات إلى ثلاثة أضعاف ما بدمه اليوم من هذه الكرات المفرطحة، مقعرة الوجهين.

والهيموغلوبين أحمر إذ هو يحمل الأكسجين، لهذا نراه في الشرايين –وهي الأوعية الذاهبة به الى مناطق الجسم– أحمر، فإذا هو أعطى اوكسجينه قلت حمرته، ولهذا نراه في الأوردة –الأوعية الواردة من بعد ريّ الجسم بالدم– مائلا الى الزرقة.

والكرة الحمراء خلية حية، ومع هذا فهي في الإنسان لا نواة لها، وهي تسير مع الدم حيث سار، فليس لها أداة للسير تسير بها على استقلال.

أما الكرات البيضاء، فهي ليست كرات بالمعنى الهندسي، بل هي خلايا لها أشكال غير منتظمة، وتسميتها بخلايا الدم البيضاء أولى، وهي على نقيض الكرات الحمراء، لا لون لها، ولها نواة، وهي تتحرك في الدم بطاقة من نفسها، وهي لا تكاد تهدأ حركة، وتتحرك وتتجه مع اتجاه الدم أو على العكس منه إذا شاءت.

والكرات البيضاء هي الجنود التي اصطنعها الجسم لتحارب كل ما يدخل إليه من غريب لا تألفه، تجري الى حيث هذا الغريب دخل، مركّبًا عضويًا كان أو جرثومة أو ميكروبًا، ثم هي تلتف حوله تحاصره، وتقوم بينهما حرب طاحنة، تتعدد فيها القتلى وتكثر، هي حرب بين الجسم والمرض، وترتفع درجة حرارة الجسم نتيجة لاشتداد الوطيس، وتُهزم كراتٌ بيضاء فيجيئها من الجسم مددٌ من بعد مدد، وأنت ترى قتلى هذه المعركة في

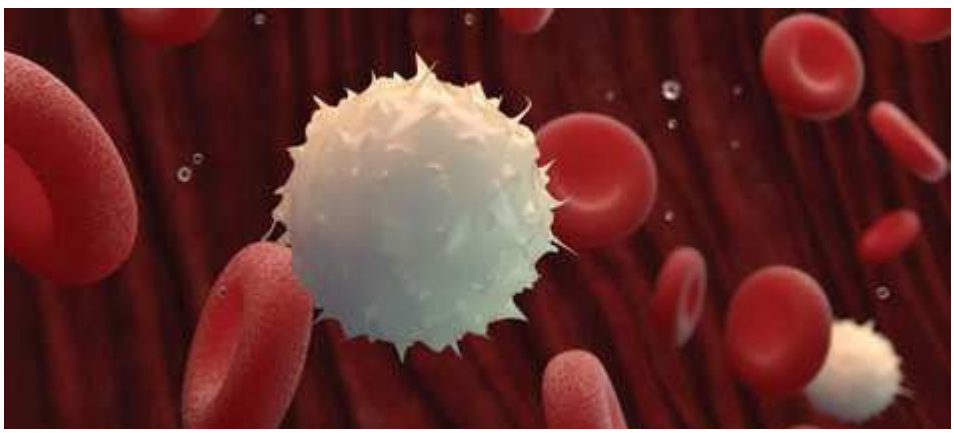

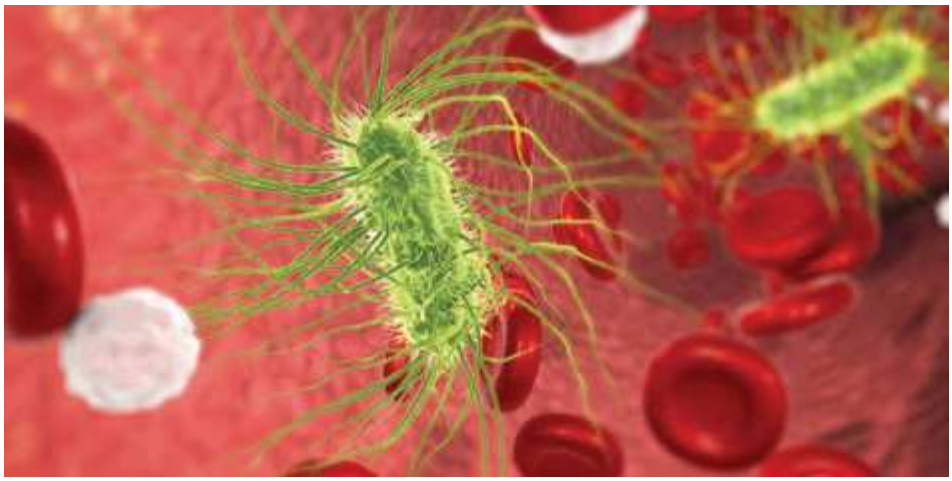

الدمل الذي تفتحه، فتخرج منه تلك المادة البيضاء المعروفة بالقيح أو الصديد، فهذه هي أشلاء الكرات البيضاء ضحايا المعركة.

وعندما يدخل الميكروب إلى الجسم تتسع شعيرات الدم عند ذلك الموضع ويحمر الجلد، ونقول انه التهاب، وما التهابه واحمراره إلا لزيادة الدم باتساع الأوعية الدموية في هذا الموضع، وهي ما اتسعت لتسهل دخول الميكروب، وإنما اتسعت لتفتح الطريق إلى رجال الشرطة من الكرات البيضاء لتلتقي بالعدو المهاجم، والمعركة قد تنتهي بفوز الكرات البيضاء فانتصار الجسم، وقد تنتهي بفوز الميكروب فينتشر المرض في الجسم انتشارًا.

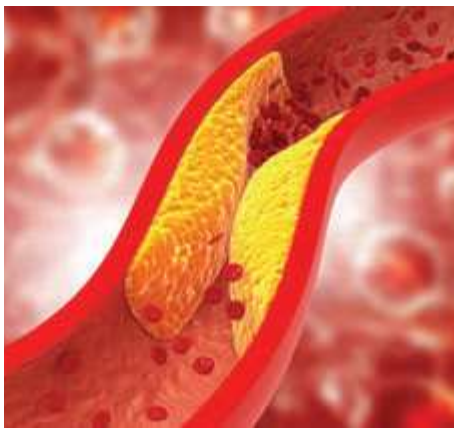

إنها ظاهرة من أعجب ظواهر الخلق، نصفها وكأن وراءها عقلًا يعمل، ومخفر شرطة ساهرًا على سلامة الجسم في الليل والنهار، وهذا كله حقٌ، ووجود العقل العامل وراء كل هذا معنىً من معاني الحياة الأعمق الذي لا نستطيع إدراكه إلا تصورًا، ومع التصور الإيمان الصادق.

وعدد هذه الخلايا في الدم دون عدد الكرات الحمراء كثيرًا، ففي دم الفرد منها في المتوسط من ٤٠٠٠ الى١١٠٠٠ خلية في المليمتر المكعب، ولكنه عدد لا يثبت حتى في اليوم الواحد، فهو يزيد مع بذل المجهود، ومع الانفعالات النفسية وغير

ذلك. ويزيد عند المرض طبعًا عندما يحتاج الجسم للدفاع، ومن أمثلة ذلك داء ذات الصدر المعروف بالنيومونيا، ففيها يزداد عدد الكريات البيضاء زيادة كبرى، فإذا لم يزد، كان هذا وبالًا على المريض، ويحدث هذا في مدمني الخمر، فهم إذا أصيبوا بذات الصدر كان خطرها أكبر عليهم.

وزيادة عدد الخلايا البيضاء التي تكشف عنها المختبرات تكشف عن المرض، فبعدٍّ هذه الخلايا عند فحص الدم، يتراءى للطبيب إن كان في جسم المريض عدوى أو لم يكن، وكم قسوتها. وبإعادة الفحص بعد العلاج يدرك الطبيب كم أفاد العلاج، وهذا الفحص لا يطلب الطبيب بالطبع إجراءه في كل الأحوال.

وهذه الخلايا البيضاء لها إرادة، ولا إرادة لكرات الدم الحمراء. إن كرات الدم الحمراء تجري مع الدم حيثما جرى، أما هذه الخلايا فتتعقب كل غريب من المكروب طارئ على الجسم، وهي تخترق جدران شعيرات الدم التي تجري فيها لتخرج الى حيث مكان العدوى من الأنسجة، وتبدأ تهاجم الميكروب الذي يكون هناك.

وكريات الدم البيضاء صنوف لا صنف واحد، أنشطها وأكثرها عددًا يعرف باسم **Neutrophils**، ولكن عدد هذه الجسيمات يزداد زيادة كبرى فتكون هذه الزيادة عن مرض يعرف بالليوكيميا، وهي زيادة قد تصل الى ستين ضعفًا، وهذا مرض خطير مدته شهور أو سنين. وقد عدوا من يموتون به في العالم، فكان عددهم نحو ٣٠٥ ألف شخص في العام.

ولكن لا بد لهذه الكرات، أحمرها وأبيضها، من سائل يحملها، تجري فيه، فذلك هو السائل الدموي أو البلازمة، وتسعة أعشار هذا السائل الدموي ماء. ومن حيث الحجم تشمل الكرات الحمراء نحو نصف السائل الدموي، أو أقل من ذلك قليلا. والسائل الدموي، كماء النهر الجاري، يحمل كل ما تلقي أنسجة الجسم وأعضاؤه فيه، وهو إلقاءٌ مخططٌ منظمٌ فيه الغذاء من سكر ودهن وبروتين وغير ذلك،

كريات الدم البيضاء

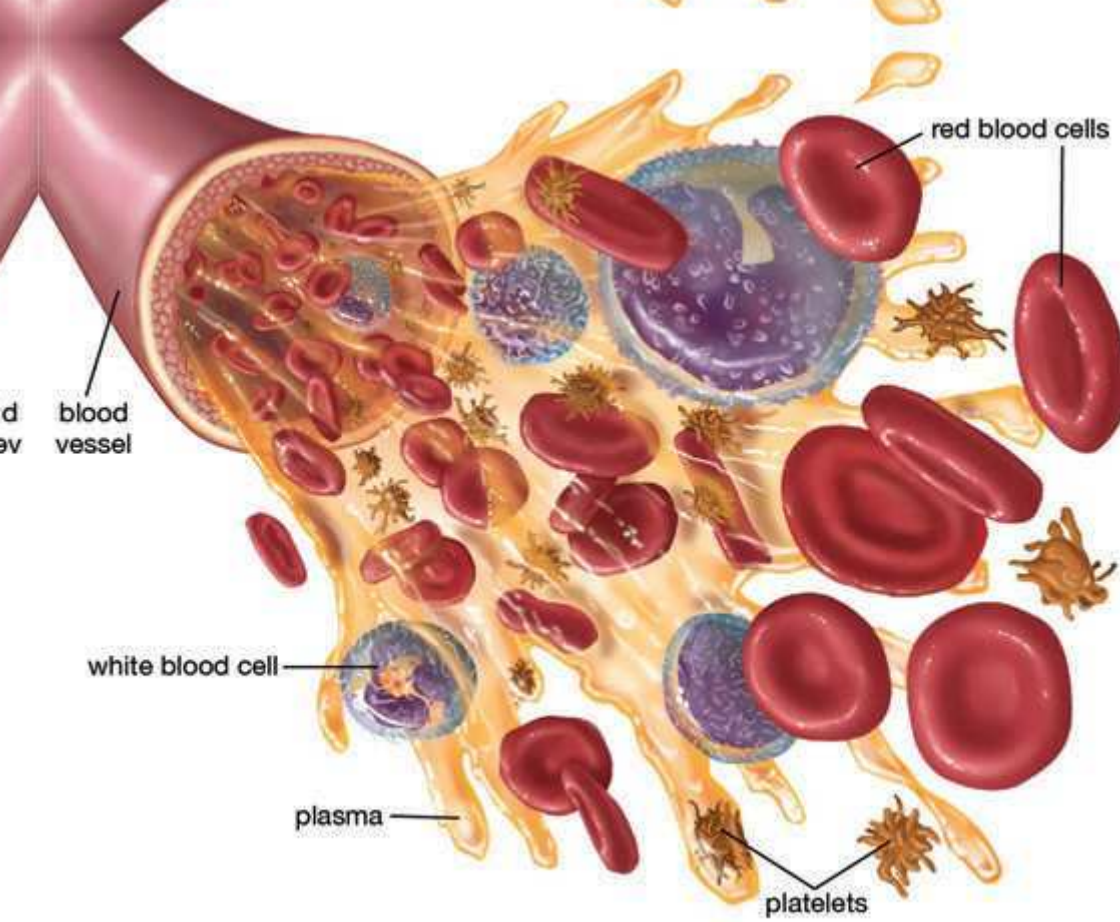

ومصدرها قناة الجسم الهاضمة، وفيه فضلات الطعام الذي احترق، ويذهب بها الى الرئتين للتنفس، والى الكليتين للتبول، والى غدد الجلد التي تنضح بالعرق.

وماء البلازمة مقداره في الدم ثابت، فهو إن زاد حمل الكرات الحمراء على التضخم فالانفجار، وهو إن قل حمل الكرات الحمراء على الانكماش. وإحساسنا بالعطش، وهو يأتينا من حيث ندري ولا ندري، إنما هو دليل على قلة نسبة الماء في الدم، عَلِم بذلك الجسم وما علمنا، ونشرب لنعيد الى الدم النسبة السويّة من الماء.

والسائل الدموي يحتوي على عدة مركبات بروتينية، من أهمها الفايبرين. فالدم إذ يتعرض للهواء يتجمد، وذلك ان هذا الفايبرين تدور خيوطه حول الكرات الحمراء كما تدور الشباك، ثم هي تنكمش انكماشًا لتمنع الدم الذي يوجد وراء هذه الطبقة المعرضة للهواء من التدفق خارج الجسم والضياع. والإنسان يُصاب بجرحٍ ويسيل دمه ثم يقوم الفايبرين بتخثيرٍ هذا الدم، فيتجمد عند الجرح فلا يضيع دم الجريح هدرًا، حكمة من حكم الجسم البالغة الكثيرة، وجزء من المخطط العظيم الذي على مثاله صنع الجسم صانعه.

وغير الخلايا الحمراء والبيضاء في الدم توجد الصفائح أو لويحات الدم، وهي خلايا صغيرة لا نواة لها، وهي من أهم

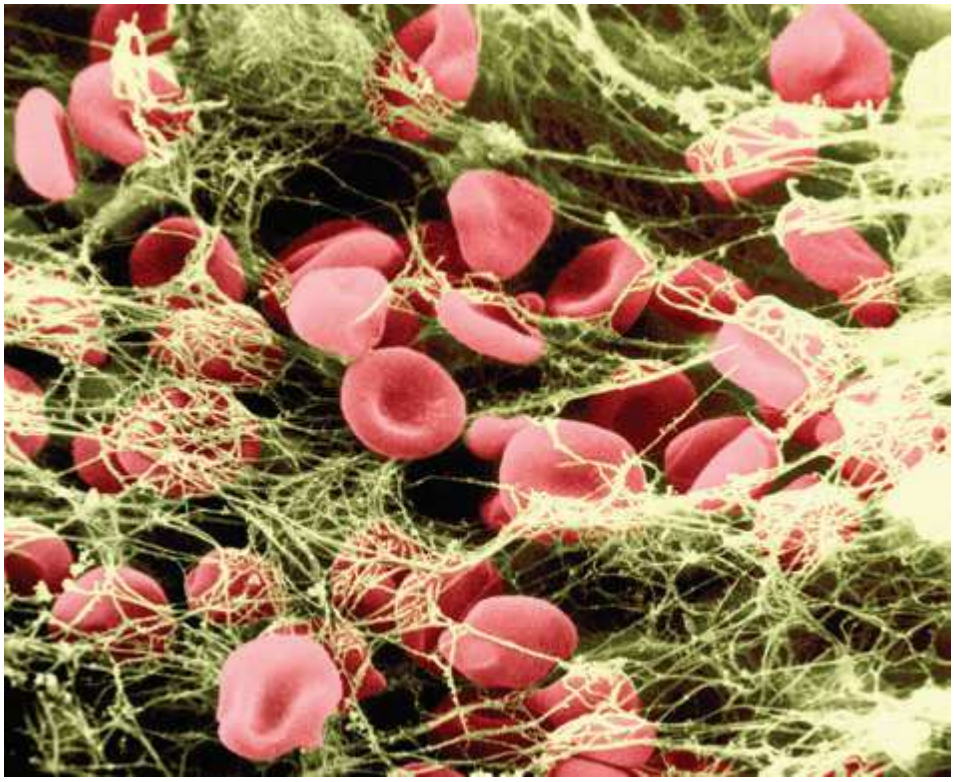

مكونات الدم في جسم الإنسان، وتنتجها خلايا خاصة في النخاع العظمي، كبيرة، تنقسم وتنقسم وتخرج منها أعداد كثيرة من هذه الصفيحات، وسميت بهذا الاسم لأنها صغيرة الحجم ولا تحتوي على نواة، واهم وظيفة لهذه الصفيحات هي المساعدة في تكوين جلطة الدم عندما ينزف من جرح، فيتوقف النزيف، لذا نجد انه إذا نقص عددها سرعان ما ينزف أي وعاء دموي إذا تعرض للإصابة، ولا يتوقف النزف إلا إذا أعطي المصاب كمية كافية من هذه الصفيحات.

وينقص عدد الصفيحات دون سبب ظاهر، ويعتقد أنه لوجود مضادات في الجسم تأتي عليها تحاربها، ويرجع ذلك إلى تضخم الطحال لأنه مصنع المضادات، وتتحسن الحالة بإعطاء مركبات الكورتيزون أو بإزالة الطحال.وتنقص الصفيحات أيضًا في حالات فقر الدم الناتجة من توقف عمل الخلايا التي تنتج الدم، ولذلك يشاهد النزف الشديد في مثل هذه الحالات.

ومن الرجال من إذا أصابهم جرح بسيط في يدهم مثلًا، ظل دمهم يسيل فلا يتجمد

لخلل في عملية تخثّره، ويسمى المرض بمرض الهيموفيليا **Haemophilia**، وهؤلاء الرجال بالنزّافين، وهو مرض يصيب الرجال دون النساء، ولكن النساء اللاتي جئن من رجال نزافين يلدن الرجال تنزف كما نزفت أجدادهم.

الهيموفيليا مرض وراثي يصيب الذكور، وتحمل الإناث المرض لتوصله إلى الذكور دون أن تعاني هي من المرض، وهو عبارة عن نقص مادة في الدم تساعد على عملية التجلط، والتي هي لازمة لوقف النزيف، لذا نرى المصاب بهذا المرض ينزف لفترة طويلة إذا حدث له جرح، ويحدث النزيف أيضًا من الأنف، ومن الفم خصوصًا بعد خلع ضرس، ومن أي جزء في الجهاز الهضمي. وفي بعض الأحيان يحدث نزيف تحت الجلد وتظهر كدمات زرقاء، وفي الحالات الشديدة يحدث ذلك داخل المفصل خصوصًا الركبة مسببًا تورمها، وآلامًا شديدة بها بحيث لا يمكن للمريض تحريكها، وفي بعض الحالات المميتة ربما يحدث النزيف داخل المخ، أو النخاع الشوكي.

ويبدأ المرض في الظهور في سن الثانية وفي بعض الحالات يحدث تحسن في حالة المريض، ويقترب وقت التجلط الى الطبيعي ولا يحدث النزيف. ويجب على المصاب أن يمتنع ما أمكن عن الأسباب التي تعرضه للخطر حتى لا يجرح، وان يحمل معه ما يدل على أنه مصاب بمرض الهيموفيليا، حتى إذا حدث له حادث واحتاج الى جراحة وهو ليس في وعيه، عُرف مرضه وأعطيت المادة الناقصة في دمه ليعود الدم إلى حالته الطبيعية في التجلط.

والأنثى التي تحمل العامل الوراثي يكون نصف أطفالها الذكور مصابًا بالمرض والنصف الآخر سليمًا، كما تنجب إناثًا نصفهن يحملن العامل الوراثي، ونصفهن الآخر لا يحملن العامل الوراثي.

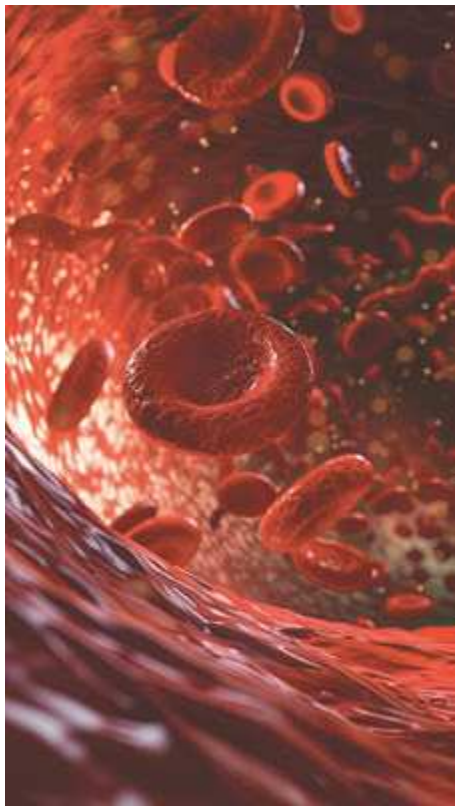

هل يمكن نقل الدم من إنسان لآخر؟

نقل الدم هو عبارة عن أخذ الدم من إنسان، فإيداعه جسم إنسان آخر، علاجًا لأمراض أو دفعًا لأضرار عدة. والناس تربط نقل الدم بالحروب، وهذا صحيح، لأن الجرحى يفقدون الكثير من الدم قبل أن يصلوا الى حجرات الجراحة، فيكون أول هم الجراح تعويضهم عما فقدوا من دمائهم.

ولكن ليس جرحى الحروب هم وحدهم في حاجة الى الدم، ففي حالات كثيرة أخرى يحتاج المرضى الى تزويد بالدماء. وأول هذه الحالات وثوبًا الى الذكر فقر الدم، ومنها الإصابة بالحروق، ومنها تعزيز قدرة الدم على التخثر عند المصابين بداء النزف، ومنها إدخال دم متحصن مأخوذ من جسم إنسان مُحصن ضد داء به أجسام مضادة لهذا الداء، في جسم مريض غير حصين، ومنها سد نقص وقع لشخص في بعض محتويات الدم، وهي حالات شتى.

فنقل الدم إذن لازمٌ في السلم كما هو لازم في الحرب. ومن اجل ذلك اهتدوا إلى أساليب لاختزانه، فإذا وقع حادث احتاج الى نقل دم، كان الدم حاضرًا. واسموا هذه الخزانات بنوكًا للدم، وهي توجد الآن بكل مستشفى وبكل مركز إسعاف، والدم فيها يختزن في ثلاجات عند درجة ٤ مئوية، ويضاف إليه مواد تمنع تخثره. ولكن الدم المفصول عن الجسم سريع التلف، وحفظه بالطريقة التي سلفت يجعله صالحًا لنحو ٢١ يومًا، والحقيقة أن الذي يبقى صالحًا هذه المدة فلا يفسد، إنما هي

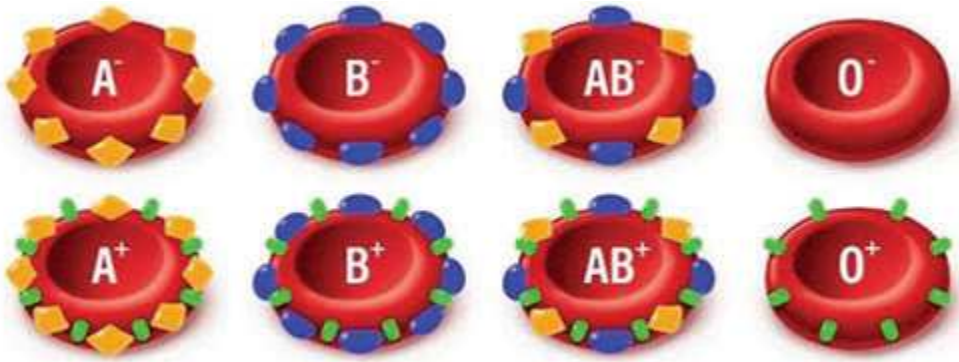

الكرات الحمراء. أما الدم من حيث سائره فيأخذ في الانحلال بمجرد خروجه عن الجسم: تبدأ الإنزيمات التي فيه تفعل في بروتيناته، فلا تمضي أيام حتى تضعف قدرة هذا الدم على التخثر، والكرات البيضاء تأخذ تموت.

من أجل هذا فصلوا محتويات الدم بعضها عن بعض، واخترعوا لكل طريقة للحفظ أجدى به، وعلموا أن المرضى ليسوا دائمًا في حاجة الى الدم الكامل، وإنما الى بعض محتوياته، فأمعنوا في فصلها. ولا بد من اختبار الدم قبل إعطائه، للتأكد من خلوه من البكتريا والفيروسات التي تنتقل بنقل الدم، والمتبرع بالدم يُفحص أيضًا للتأكد من خلوه من الأمراض.

ثم الحذر، لأن الدماء صنوفٌ غير قابلة للاختلاط، فإذا اختلطت تجمعت كراتها الحمراء وتلاصقت كتلة واحدة. وهذه الصنوف أربعة: **O**، **AB**، **B**، **A**. ولا نستطيع الدخول الآن في هذا، فالمقام لا يتسع له. ونكتفي بالقول أن دم المتبرع يُفحص أولًا لمعرفة صنفه، وهو لا يضاف إلا الى دم يأتلف معه، فلا يخثره ولا يتخثر به.والدماء من حيث عامل ريسوس (**Rhesus Factor**) صنفان كذلك، سالب وموجب، ولا بد من استبانة من أي الصنفين يكون الدم المأخوذ، حتى لا يُعطى لمريض فيسوء فيه عاقبة.

هل يصلح دم الحيوان للإنسان؟

رغم ما يبدو من طرافة السؤال للوهلة الأولى، فإنه لم يكن كذلك من مئات السنين، قبل أن يصبح نقل الدم شيئا مألوفًا كما نراه الآن في كل مستشفى، ولقد أدرك إنسان العصور القديمة من ملاحظاته المتعددة أن الدم لا غنى عنه للحياة، وقد لاحظ ذلك عندما كان الشخص يفقد حياته نتيجة المبارزة مثلًا إذا أصيب بطعنة دامية، أو إذا خرج لصيد الحيوان، وأصابه الحيوان إصابة مميتة، بل انه من الأشياء التي نقلها لنا التاريخ عن الإمبراطورية

الرومانية، أن أشرف طريقة كان النبلاء ينهون بها حياتهم هي الانتحار بقطع احد الأوعية الدموية.

وكان السؤال الذي يشغل بال الناس ساعتئذٍ، كيف يمكن تعويض ذلك الدم المراق، وبالتالي كيف يمكن إنقاذ الحياة؟

وكانت التجارب الأولى لعملية نقل الدم، تركز بالدرجة الأولى على عملية نقل الدم ذاتها، دون نظر الى الدم في ذاته، وما إذا كان موافقًا للمريض أم لا. وترينا الرسوم القديمة، كيف أن عملية نقل الدم كانت تتم بطريقة بدائية عن طريق إحداث فتحة مناسبة في احد الأوردة، وإدخال ما يشبه القناة الرفيعة، المتصلة مباشرة بما يشبه القمع، الذي كان يصب فيه الدم صبًّا، بعد تجميعه وحفظه في مثانة الحيوانات.

وأما بالنسبة لنوعية الدم الذي استعمل لذلك، فإن دم الحيوان كان على رأسها، ربما لسهولة الحصول عليه، وربما اعتقادًا من العلماء أن تركيب الدم وعناصره واحدة في جميع الأجناس، وانه لا فرق بين دم الإنسان ودم الحيوان.

وكان الحيوان المفضل لذلك هو الشاة، ولا يوجد سبب معروف أيضا لذلك، على كل حال لقد انتهت هذه التجارب الارتجالية الأولى نهايات مختلفة، وكانت اغلب هذه التجارب تنتهي إما بتخثر الدم، أو تحلله في داخل الأوعية الدموية، والجزء الأكبر من هذه الحالات انتهت بوفاة المريض لعدم ملائمة الدم الحيواني لدم الإنسان، ولكن من المدهش حقًا، أن يعلم السائل انه في القدر اليسير جدًا من هذه التجارب، لم تحدث أي مضاعفات وبالتالي عاش المريض، وكانت هذه حالات نادرة جدًا، ولا يمكن اعتبارها قاعدة علمية بأي طريقة من الطرق.

وأول من نقل الدم من حيوان الى حيوان هو عالم التشريح الانجليزي رتشارد لاور، كان ذلك عام ١٦٦٥، وكانت عملية نقل الدم قد تمت بين كلبين، وكانت عملية ناجحة.

وبقيت عمليات نقل الدم بين الحيوانات إلى أن جاء شهر يونيو من عام ١٦٦٧ حيث شهد العالم أول عملية نقل دم ناجحة للإنسان والتي قام بها الطبيب الفرنسي جان باتيست بنقل كمية بسيطة جدا من خروف إلى إنسان. كان ذلك الشاب مريضًا وشاحب الوجه. وسجل العالم بهذه العملية أول انجاز في مجال نقل الدم. وذاع صيت جان باتيست بعد العملية ما جعله يكررها مرة ثانية، ونجحت العملية أيضًا.

لكن ذلك النجاح لم يستمر طويلًا حيث مات المريض في المرة الثالثة، ولكن بعد فترة وجيزة، لم ييأس جان باتيست حيث كرر الأمر للمرة الرابعة لكن المريض هذه المرة فارق الحياة مباشرة وخلال فترة نقل الدم، ومن بعد هذا الحادث كفّ العلماء عن نقل الدم دهرًا، للذي تراءى فيه من خطر.

حتى جاء عام ١٩٠٠ فتكشفت للعلماء حقائق عن الدم كثيرة، وتكشفت أسباب الموت الذي كان، وكان تصنيف الدم كما ذكرنا، واتضح أن نقل الدم لا يكون جزافًا، حتى بلغ الحال بنا أن صار نقل الدم، أخذه وحفظه وإعطاؤه، فنًّا قائمًا بذاته، ينفع جمهور الناس في حرب وسلام على السواء.

هذه عجالة قصيرة عن الدم، ونقله وحفظه واختباره، ولو أننا عددنا منافعه، وأعدادًا من الخلق كان لهم من نقل الدم الخلاص والنجوى، لعزّ ذلك إحصاء.

مختصر أخبار حكومة المماليك في العراق

بقلم: باسم الساعدي

حكم العراق ما بين سنة ١٧٤٩ وسنة ١٨٣١ مجموعة من العبيد الأتراك، عرفوا باسم المماليك، جمع مملوك، وهو العبد، اشتراهم حسن باشا الجديد من بلاد القفقاس أو مما جاورها، وهم صبية صغار، واخضعوهم لبرنامج تدريبي خاص حتى كبروا فتسنموا المواقع المهمة في الحكومة، من ثم صاروا حكاما للعراق باسم سلاطين العثمانيين، أي لم يخرج العراق عن تابعيته للعثمانيين بحكمه، وإن استقلوا ببعض الأمور، ولم يكن حسن باشا ومن بعده ابنه أحمد باشا هما من ابتكر الاستعانة بالعبيد، وأعطاهم المناصب المهمة، بل سبقهما لذلك بعض العباسيين، والأيوبيين، على ما سنعرف بالعناوين التالية.

تسلط العبيد

لم يكن العبد دائما محتقرا، بل بعضهم نال الدرجات الرفيعة، حسب قدرته ولياقته، فمنهم من صار فقيها، من أمثال عطاء بن أبي رباح[١]، ومنهم من صار قائدا للجيش، من أمثال: نُصير ابو موسى الذي كان قائد شرطة الشام[٢]، بيد أن من ذكرنا نموذجا منهم كانوا افرادا لا جماعة، ولم يكن أمرهم ظاهرة، وأن أغلبهم ممن تخلص من العبودية بالعتق، فهم خارج موضوعنا، ولعل أول من سلط العبيد المملوكين على رقاب الناس، وجعل أمرها ظاهرة هم العباسيون والأيوبيون، ففي زمن المتوكل وما بعده صاروا يتحكمون حتى بتنصيب الخليفة، قالوا: «ولما توفي المنتصر اتفق كبراء الدولة، مثل بغا الكبير وبغا الصغير وأتامش الأتراك، ومحمد بن الخصيب على تولية المستعين، وكرهوا أن يقيموا بعض ولد المتوكل لكونهم قتلوا المتوكل، فبايعوا المستعين»[٣]، وأما بنو أيوب فأن نجم الدين الأيوبي هو من مهد لجعلهم ملوكا، ونوابا للخليفة العباسي[٤].

١- سير اعلام النبلاء٥: ٧٨، وفي صفحة ٨٥ نقل: «عن الزهري: قال لي عبد الملك بن مروان: من أين قدمت؟ قلت: من مكة، قال: فمن خلفت يسودها؟ قلت: عطاء، قال: أمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فيم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية، قال: إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا، فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس، قال: فمن العرب أو الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، وهو من الموالي، قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن من الموالي، قال: فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب . قال: ويلك، فرجت عني».

٢- الكامل في التاريخ٤: ٥٣٩.

٣- المختصر في أخبار البشر٢: ٤٢.

٤- مقالة دولة المماليك في مصر عدد ١٥٦، من مجلة النجف الأشرف.

نظام التولية

يوجد نظامان حكوميان لإدارة الدولة في العصور الغابرة، أحدهما الإدارة المباشرة للملك (أو الخليفة) والثاني نظام الولايات وحاكم الولاية يسمى والياً، وسلطة الملك أو الخليفة تكون عادة على الأماكن القريبة من عاصمة دولته، والوالي يدير الأماكن البعيدة عن مركز الدولة أو عاصمتها، وهذا النظام معمول فيه في الدول المتقدمة على الدولة الإسلامية فهو معروف في الدولتين الرومية والفارسية، من ثم تطور نظام الولايات فصارت ولاية (أو إمارة) خاصة وأخرى عامة، والخاصة يكون الأمير أو الوالي محدود الصلاحية حتى انه لا يحق له زيادة رواتب الجيش من غير إذن السلطان أو الخليفة، أما العامة فتنقسم إلى استكفاء واستيلاء، فإمارة الاستكفاء هي من عين الخليفة أميرها واليا على جميع أهلها وله إدارة جميع مصالحها، وقد أسموها بإمارة الاختيار لأن الخليفة مختار في تنصيب أو تعيين الوالي.

والاستيلاء هي من استولى أميرها عليها بالقوة فأقره الخليفة أو السلطان عليها مضطرا؛ لذا أسموها بإمارة الاضطرار، والأمير المستولي هو حاكم مطلق على البلد الذي استولى عليه، وليس للخليفة شيء غير ذكر اسمه في خطبة صلاة الجمعة والعيدين وسك العملة باسمه، وإرسال مبلغ مالي للخليفة[٥].

وقد اضطر العباسيون لنظام ولاية الاستيلاء، أيام ضعف سلطتهم على دولتهم المترامية الأطراف، وهذا النظام هو

٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي: ٢٢ وما بعدها.

الذي شجع شيوخ العشائر وقادة الجيش والوزراء وكل من يرى بنفسه القدرة على الاستقلال أن يستقل ويحكم بما يشبه النظام الكونفدرالي المعروف اليوم عالميا.

ومماليك العثمانيين في العراق استقلوا عن أسيادهم على قاعدة نظام الاستيلاء، مستغلين ضعف الدولة العثمانية، وفسادها المالي، على ما سنعرف في اسطر موضوعنا هذا.

الشراء والتأهيل

كانت الدولة العثمانية، وحكومة والي بغداد حسن باشا في سنة ١٧٠٤ وقبلها تمر بأزمة حقيقية، فمن جهة ضغوط نادر شاه العسكرية، ومن جهة أخرى ثورات العشائر، وثالثة –وهي الأدهى– تمرد الانكشارية على الأوامر العسكرية، وانتشار الفساد المالي في ما بينهم، حتى وصل بهم الأمر بأنهم لا يلتحقون بثكناتهم

إلا من أجل استلام رواتبهم التي كانوا يسمونها بالعلوفات[٦]، وقد حاول الوالي حسن باشا الاستفادة من تجارب من سبقه بالاستفادة من العبيد، فصار يشتريهم من الاقوام القوقاسية، من تفليس في بلاد الكَرج، ومن اللاظ والاباظة وغيرها، وهم صبية صغار، حيث كان بيع الأطفال من

٦- البلاد العربية والدولة العثمانية: ٤٧، وحديقة الزوراء في سيرة الوزراء: ٦٨.

الذكور والإناث في تلكم المناطق رائجا[٧]، فاشترى منهم أعدادا كبيرة، وحرص على تدريبهم وتعليمهم، وتربيتهم تربية كي يكونوا بدلا عن رجال الانكشارية وموظفي الدولة تدريجيا[٨]، ولعل السبب الحقيقي من شراء العبيد واعدادهم الكبيرة، التي زاد أحمد باشا ابن حسن باشا عددهم على ما كان في عهد أبيه، هو ضمان ولائهم مستقبلا، خصوصا وأن شبهات التواطؤ مع نادر شاه كانت تدور حول الوالي أحمد باشا[٩]، فحسن باشا لم يكن تركيا عثمانيا، بل هو من قترين[١٠] من اليونان[١١]، وقيل أصله من بني أمية[١٢]، وبغض النظر عن أصوله وما يدور حوله من شبهات فان خطته كانت ناجحة، فقد احتل العبيد كل مفاصل الولاية الإدارية والعسكرية [١٣].

أما بخصوص تأهيلهم فقد أسس مؤسسة خاصة اسماها ايجي دائرة سي، وتعني الديوان الداخلي بالتدريج[١٤]، ومهمتها الاشراف على شراء الصبية

٧- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ١٩٨.
٨- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ١٩٨.
٩- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث١: ١٢٨.
١٠- حديقة الزوراء في سيرة الوزراء: ٤٣.
١١- بيزنطة بين الصراع العثماني المغولي المملوكي: ٤٠ هامش رقم ٢.
١٢- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث١: ٩٥، هامش رقم ٢.
١٣- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ١٩٨.
١٤- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ١٩٨.

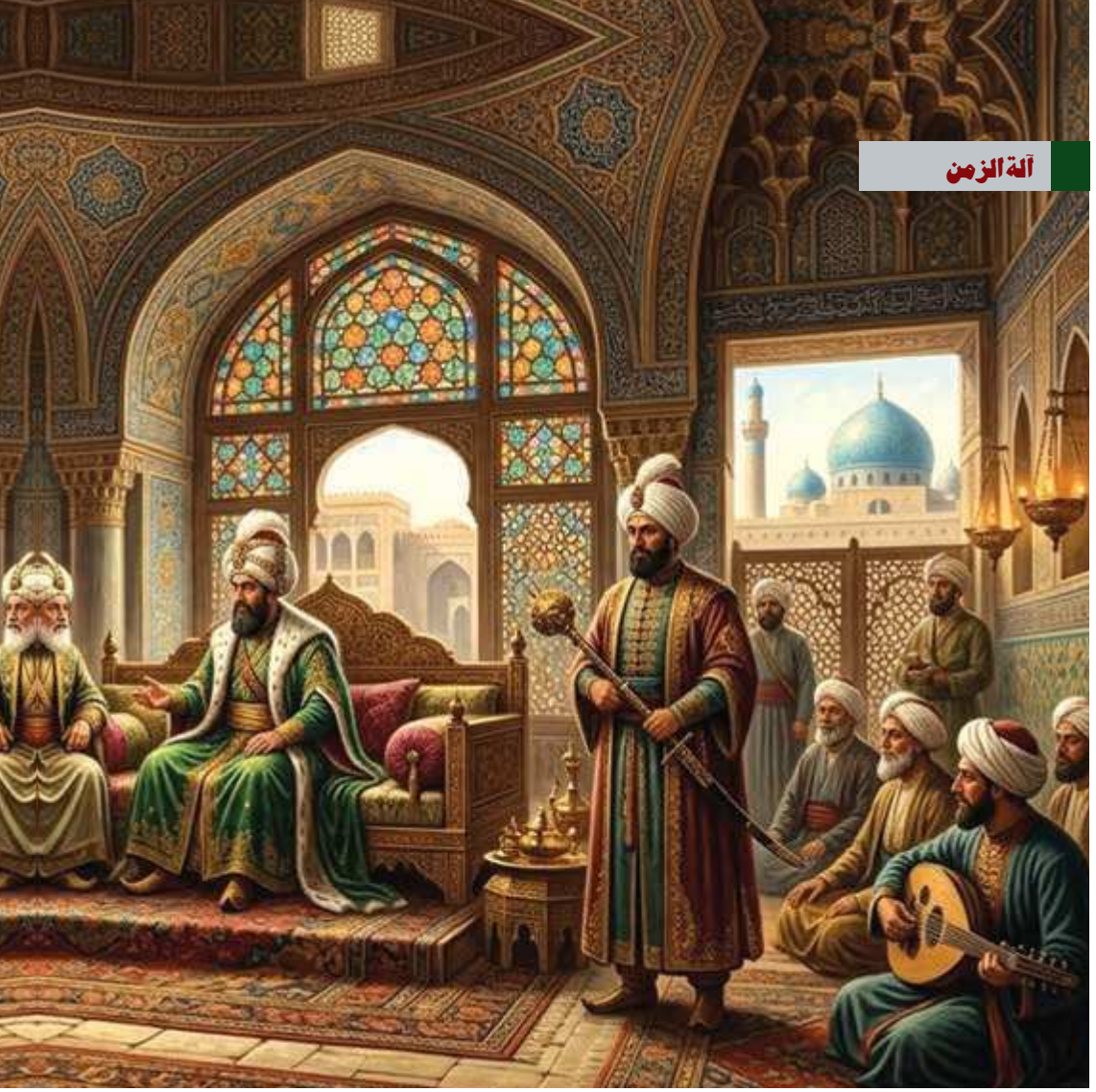

وتعليمهم القراءة والكتابة، وتدريبهم على الفروسية والسباحة وفنون القتال[١٥]، فالوالي حسن باشا المولود في اوربا ابن البك مصطفى الذي كان من جملة جيش مراد الرابع، قد نشأ عثمانيا، وقد تدرج بالمناصب حتى غدا وزيرا أو واليا على بغداد [١٦].

على غرار الانكشارية

والمؤسسة التي ذكرناها في العنوان السابق ما كانت إلا محاكاة لما فعله السلطان العثماني الثاني أورخان في بداية تكوين دولتهم، حيث كان قومه يغيرون على البلاد النصرانية التي تجاورهم فيخطفون منها الصبية الصغار، فيضعونهم في مؤسسات خاصة لتدريبهم تدريبا عسكريا، ويدرسونهم الشريعة

١٥- لمحات احتماعية من تاريخ العراق١: ١٤٩.

١٦- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ١٥٥.

الإسلامية من وجهة نظرهم، ويغذونهم بفكرة الجهاد، ولم يكونوا يعرفون أهلا لهم غير مؤسستهم العسكرية العقائدية، التي بذلوا انفسهم في سبيلها حتى كان شعارهم: «إما غازي وإما شهيد»، عرف هذا الجيش باسم الانكشارية، التي اصلها يني تشري، ومعناها النظام الجديد، وهو أول جيش نظامي دائم عرفه التاريخ [١٧].

سيرتهم في بغداد

إن نشوء العبيد أو المماليك في بغداد جعلهم يرتبطون بها، ويعدون انفسهم بغادّة، يتعصبون لمحلاتهم التي سكنوها، ويثور معهم أهل محلاتهم إن تعرضوا لحيف من قبل الدولة، أو بعض رجالاتها، بل انقسم المماليك وفق المحلات التي يسكنونها، فإن صار نزاع بينهم أو بين المحلات قاتلوا اخوتهم باسم محلاتهم[١٨]،

١٧- البلاد العربية والدولة العثمانية:١٦.

١٨- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث١: ١٥١.

نعم، ما كان المماليك ملتزمين بالقيم والأعراف الاجتماعية؛ لأنهم نشأوا في بيئة معسكرات داخلية، من غير أب أو أهل يخافون عليهم، ويعلمونهم القيم والأعراف، فانتشرت بينهم الرذيلة[١٩].

سليمان باشا

ممن اشتراهم حسن باشا عبد اسمه سليمان، وورثه أحمد باشا من أبيه، الذي سار على نهجه وأكثر من شراء العبيد وتدريبهم، وقد اعتق أحمد باشا سليمان بعد أن شاهد منه شجاعة وعرف منه التفاني في خدمته، فصار لقبه آغا، من ثم زوجه ابنته الكبرى عادلة خانم[٢٠]، وهذا المملوك كان جديرا بالاهتمام، فهو ذكي وشجاع قياسا بغيره من الولاة أو الوزراء، ولعله اكتسب الشجاعة من سيديه الذين يقودا الحملات العسكرية بنفسهما[٢١]، ومن شجاعته كناه أهل بغداد بابي ليلة[٢٢]؛ لأنه يدور متنكرا ليلا[٢٣]، وقد حاز على رتبة ميرميران، أي أمير الأمراء، وباشا[٢٤].

توليه الوزارة

كانت الولاية تسمى في عرفهم الوزارة، وسليمان باشا هو أو مملوك يتسنم منصب وزارة بغداد، وسبب توليه المنصب، أن بغداد في أواخر حياة سيده أحمد باشا ماجت بالفتن، وقد عجز أحمد باشا عن تسديد رواتب الانكشارية، وثقل عليه الدين، وثارت الانكشارية عليه، حتى انهم ضربوا باب السراي بالمدفعية، وبعد مفاوضات رضخ للثوار وخرج عن ملكه ونصب مكانه الكسريه لي، وهو الذي كان معه عند توجههم إلى إيران حاملين الهدايا العثمانية، وكان مرشحا لولاية البصرة، وعلى أثر هذه الفتنة لم تعاقبه الدولة العثمانية، بل رأت أن عمله وفق مقتضى الحال، لكنها سحبته من منصبه، واقرت مكانه الكسريه لي، ونصبت على

١٩- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث١: ١٥٢، وأربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ١٩٨.
٢٠- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ١٩٩.
٢١- دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء: ١٨.
٢٢- ومن كناه: أبو سمرة، ودواس الليل، وسليمان الأسد.
٢٣- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث١: ١٥٣.
٢٤- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ١٩٩.

البصرة حسين باشا آل عبد الجليل[٢٥]، غير أن سليمان باشا سافر إلى الاستانة واستطاع اقناع الحكومة فيها بأن يولونه البصرة شريطة أن يسد دين عمه وسيده احمد باشا ويقمع الفتن، وكانت الديون ألفي كيس من المال، وقد اقتنع الحكام ونصبوه على البصرة، وفي سفره صار طريقه على بغداد واقام بها لإيفاء الديون، وبما أن سليمان نشأ في بغداد، وكان يعد نفسه من أهلها ففي اثناء اقامته فيها من أجل سداد دين عمه صار بعض كبار أهلها يترددون عليه، فأغضب ذلك واليها[٢٦]، واستطاع سليمان باشا من السيطرة على تمرد العشائر في جنوب العراق والفرات الأوسط منه، وأرسل بشائر النصر إلى الحكومة العثمانية في الأستانة، غير أن والي بغداد ارسل من يخبر الاستانة بان سليمان خائن متواطي وليس منتصرا، وعلى اثره ارسلت الاستانة من يتقصى الحقائق، وكان حكمهم ببراءة سليمان، وبعد هذه الفتن والتنافس تحرك سليمان باشا من البصرة إلى بغداد، وفي الحسكة وجد ممدًا من بعض أعوانه، فصار قوام جيشه ثمان مائة مقاتل، وتلقاه والي بغداد في الحلة بأربعة عشر ألف مقاتل، بيد أنهم انقلبوا إلى جهة سليمان ففر والي بغداد لها، فوجد أبوابها مغلقة في وجهه، لكنها رحبت بالمملوك سليمان باشا، الذي حكمها اثنتي عشرة سنة[٢٧].

الحاكم الحقيقي

استطاع سليمان باشا أن يتربع على أعلى المناصب في وزارة أو ولاية بغداد، وصارت سلطنة سيده أحمد باشا بأجمعها له، وإخضاع اعدائه، بيد أنه لم يستطع التحرر من رقبة العبودية، رغم عتقه، فهو تزوج ابنت سيده عادلة خانم لكن سيرته معها لم تتغير، فهو معها عبد لا زوج، خاضع لها كل الخضوع، وهي الحاكم الحقيقي، فقد ذكروا في سيرتها أنها كانت تعقد مجلسا خاصا تنظر فيه أمور الرعية، وله حاجبها الخاص، واتخذت منديلا حريريا شعارا لاتباعها ممن خدم أبيها كي تميز هم عن غيرهم، وعلى من يريد الحصول على الشعار الحريري أن يدفع المال لها، وكانت تصدر الأوامر الحكومية، بل وتنقض احكام غيرها بما فيهم زوجها[٢٨]، وهي التي امرته بشن حملة على الزعيم الكردي سليم باشا بابان، من ثم استدرجه إلى بغداد واعدمه شنقا في سنة ١٧٥٨، وذلك انتقاما منها لأبيها الذي مات في حملة ضده، وكذلك قيل ان زوج اختها عائشة قتل بتحريض منها[٢٩].

٢٥- دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء: ٩٨.
٢٦- تاريخ المماليك في بغداد: ١٧.
٢٧- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ٢٠٢.
٢٨- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث١: ١٥٤.
٢٩- تاريخ العراق الحديث: ٣٤١.

اسماء البيوتات النجفية بين الرمزية والواقعية

بقلم: حيدر الجد

النجف الأشرف كغيرها من المدن العراقية لها بيوتها الممتد تاريخها في عمق وجود المدينة وقد ازداد تواجدها بصورة مرحلية حيث شهدت كل مرحلة ظهور عدد من البيوتات التي انتقل آباؤها من مدنهم الأصلية ونزلوا النجف الأشرف إما محبة في مجاورة الإمام علي(ع) أو لأن أجدادهم إضافة لما تقدم من سبب رغبوا بالانخراط في صفوف طلبة الحوزة العلمية ليكونوا من سكنة هذه المدينة المقدسة.

مقالتنا هذه تدور حول امثلة من البيوتات القديمة التي كانت تسكن النجف في محلاته الأربعة (البراق والحويش والعمارة والمشراق) ولا يسع المقال ايراد اسماء كافة الأسر النجفية الأصيلة.

إن مدينة النجف الأشرف مدينة مرنة قابلة لاستيعاب كل محبي الإمام علي(ع) من داخل العراق وخارجه، منفتحة على العالم باعتبارها منطقة مقدسة تضم جثمان سيد الأوصياء(عليه السلام)، وتضم الحوزة

العلمية الشريفة، كما تضم وادي السلام مأوى الأرواح الخيرة.

هناك اسر اندثرت فلم يعد لها وجود في المدينة امثال أسرة الطاوغلي والشولستاني الطباطبائي وآل طحّال وغيرهم وهناك أسر تغير لقبها من لقب إلى آخر مثل أسرة آل جدّي التي كانت تلقب بآل زيني (زين العابدين العاملي) أما أسرة السادة آل شامة فقد جاءت من شامة كبيرة في وجه جدهم السيد موسى حيث كان لقبهم قبل ذلك آل علاء الدين الحسيني في حين ان بيت عجينة الذي ينتسب إلى بني شيبة قد اصبح لقبهم عجينة نسبة إلى جدهم تاجر التمور الذي جاء بحمولة تمر أثناء المطر فتحولت إلى كتلة كبيرة أطلق عليها تشبيهًا (عجينة) فأصبحت لقبًا للأسرة.

عموما تصنف اسماء البيوتات إلى عدة تصنيفات:

التصنيف الأول: حسب المدينة التي هاجر منها أجداد ذلك البيت وعلى سبيل المثال بيت الدجيلي القادمين من بلدة الدجيل الواقعة بين بغداد وسامراء، حيث هاجر جدهم الشيخ عبد الله من الدجيل بناء على رغبة الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء الذي توسم فيه العلم لما نزل في مضارب أبيه الشيخ أحمد حينما كان متوجهًا نحو سامراء لزيارة الإمامين العسكريين(ع)، فاصطحبه معه إلى النجف وزوجه بنت اخيه الشيخ حسين الشيخ خضر وهكذا تناسلت اسرته إلى اليوم في النجف، وهناك من يشاركهم اللقب لكنه ليس خزرجيًا منهم بل أسلميًا، وهناك أيضًا بيت الحلي ويشترك في اللقب أسرتان

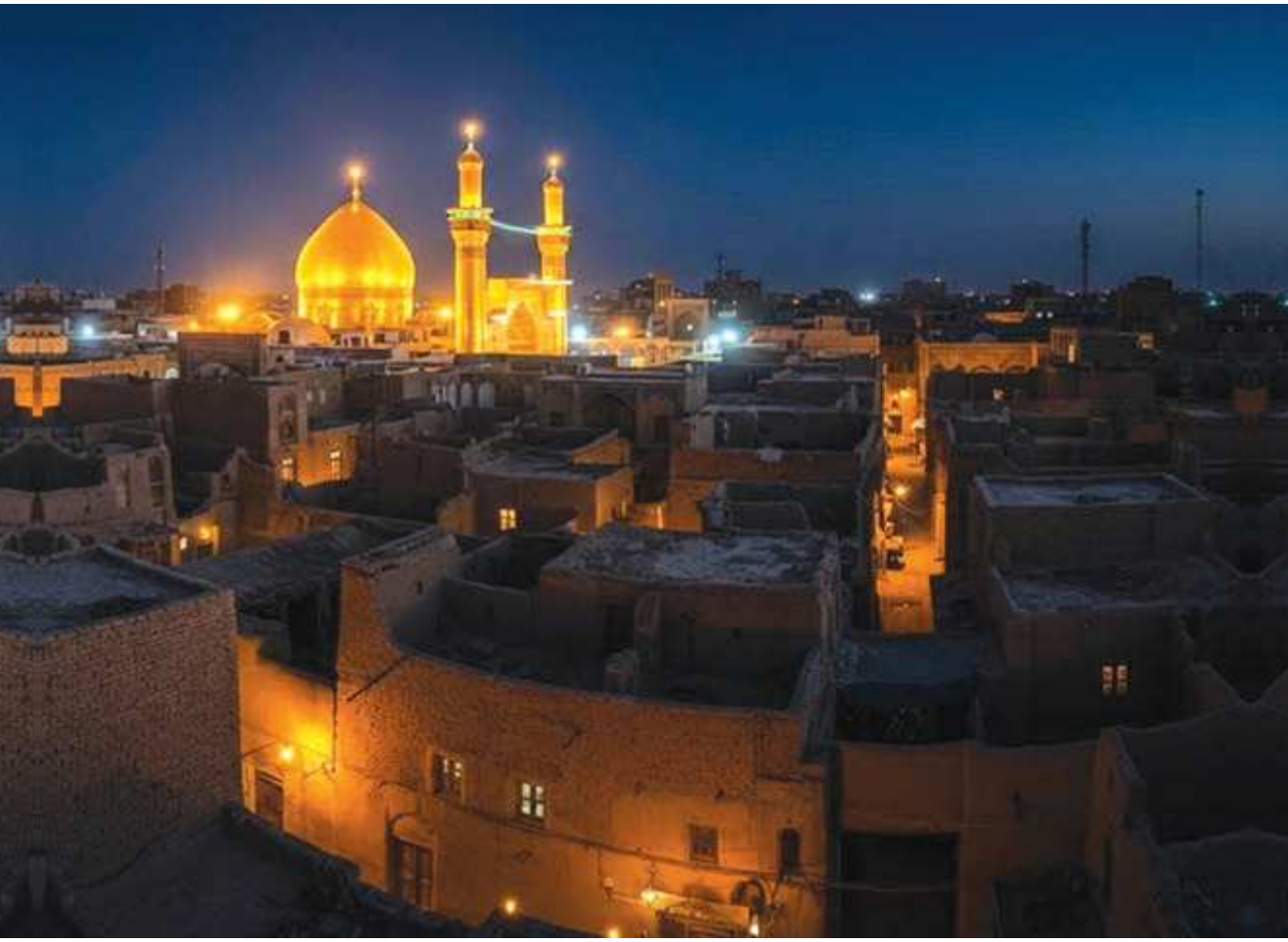

أحداهما أسرة عامية وأخرى حسينية، وهناك بيت البغدادي وهم أربعة بيوت الحسني البغدادي، البغدادي الأسدي، وآل وهب البغدادي، وآل كنو البغدادي. وبيت السماوي، وبيت الغريفي الموسوي وبيت الدمشقي وغير ذلك.

هناك اسرة قدمت من إيران من طهران تحديدًا تدعى ال الشاه عبد العظيمي وهم لا ينتسبون إلى السيد شاه عبد العظيم رغم انهم سادة لكنهم نسبوا إلى البلدة التي دُفن فيها شاه عبد العظيم الحسني وهم سادة حسينيون من ذرية الإمام الصادق(ع).

التصنيف الثاني: حسب المهنة التي كان يمتهنها جدهم، فهناك آل الخطيب وربما يكونوا أكثر من أسرة لقب بهذا اللقب منهم سادة ومنهم عوام وهم الذين

يتشرفون بخدمة منبر الإمام الحسين(ع)، وهناك بيت السادة ابو الريحة الزاملي الموسوي الذين اخذوا لقبهم من مهنة بيع العطور وهناك بيت النجار ويشترك أيضا باللقب فرع من السادة الموسوية وأسرة عامية أخرى، وبيت الحداد منهم الحداد العبودي ومنهم الحداد الدعمي، والسراج (أي يعمل في السراجة)، والقاضي ومنهم أسرة حسنية طباطبائية وهي أسرة العارف الكبير السيد علي القاضي الطباطبائي، وهناك اسرة ثانية عامية تعرف بالقاضي، وأسرة الفحام منهم سادة أعرجية من ذرية الشاعر والعالم الكبير السيد صادق الفحام ومنهم أسرة عامية، والصائغ حيث يشترك فيه بيتان حسيني وشمّري، والصراف وهم ثلاث بيوت: آل الصراف الحسيني وآل الصراف الموسوي وآل الصراف (آل شكر)، وبيت البستاني، وبيت أبو الطابوق وبيت الكتبي (المطبعي)، وبيت السراج، بيت الترجمان، بيت السباك (تميمي وكعبي)، بيت الحكيم والحكيم هو بمثابة الطبيب اليوم ولدينا في النجف ثلاث عوائل من السادة أولهم اسرة المرجع الديني الكبير السيد محسن الطباطبائي الحكيم، واسرة السيد حكيم الممالك الطباطبائي (اختصرت بالحكيم ومساكنهم القديمة في محلة المشراق) ثم سكنوا أراضٍ زراعية في نواحي بلدة العباسية بالنجف يطلق عليها (جوبان)، واسرة السادة آل الحكيم الشيرازي الحسيني وهم احفاد السيد اسد الله الحسيني الشيرازي شقيق السيد محمد حسن المجدد الشيرازي وقد تحول نشاط ابناء الأسرة إلى بيع البذور والأسمدة والمعدات الزراعية مؤخرًا بعدما كان جدهم يعمل في الطبابة.

هناك أسرة ال الحكيم وهم عوام كان جدهم يعمل في مجال الطب والأعشاب وقد يختلط الأمر مع الحكيم العوام الذين جاء لقبهم من (حجيم) وهم قبيلة عربية معروفة لكن (ج) الدارجة تلفظ (ك) فتصبح حكيم ومنهم الشيخ كاظم الحكيم وهو بالأصل كاظم الحجيمي.

أما أسرة السادة آل الخرسان فهي أسرة موسوية ينتهي نسبها إلى السيد أبي الفتح الأخرس وقد اخذوا اللقب منه فتحول اللقب من آل الأخرس إلى الخرسان.

إضافة إلى ذلك هناك بيوتات تسمى بأسماء مهن تنتهي بمقطع (جي)، مثل بيت الباججي وبيت التورنجي وبيت الحمامجي وبيت القابجي وبيت القبانجي وبيت العبايجي، وبيت السادة آل الحمامي الموسوي الذي كان جدهم يمتلك حمامًا فلقب به.

أما أسرة القابجي فهم سادة حسينيون يعرفون بالحلوين وهم يختلفون عن آسرة السادة آل الحلو و كلمة قابجي كلمة تركية (**kapi**) الباب (**chi**) مقطع النسبة فتكون البواب وقد التزموا مهنة فتح وغلق أبواب الصحن العلوي الشريف.

التصنيف الثالث: حسب أسم جد الأسرة القادم إلى النجف أو الأشهر بين الأجداد مثل بيت فخر الدين وبيت محي الدين وبيت الطريحي وبيت سعد راضي وبيت الرفيعي (رفيع الدين) وبيت السادة آل زيني (زين الدين) الحسني وبيت السادة آل زوين (زين الدين) وبيت شكر وبيت معله وبيت أمين وبيت مطر وبيت دعيبل وبيت سيد سلمان، بيت زاهد، بيت علي خان، بيت ثنوان، بيت ثامر، بيت شكر وهم نوعين، شكر الصراف كانوا يعملون في الصيرفة واليوم يعمل بعضهم في القصابة وتجارة اللحوم وشكر البنائين، وبيت شبر الحسيني، وشبر المشعشي الموسوي.

التصنيف الرابع: حسب كلمة مميزة في ذلك البيت جاءت عن فعل او شهرة أو عمل أو حرفة أو علامة مميزة عن الأصل، والتصنيف الرابع هو ما يهمنا في هذا المقال الذي سوف نسلط الضوء عليه منهم من ينسب إلى كتاب ألفه مثل آل كاشف الغطاء الذين ينتسبون إلى الشيخ الاكبر جعفر ابن الشيخ خضر الجناجي المالكي حيث عرفت ذريته بآل كاشف الغطاء نسبة إلى كتابه (كشف الغطاء في كشف مبهمات الشريعة الغرّاء)، ومثل آل الجواهري الذين نسبوا إلى كتاب جدهم وباني مجد اسرتهم الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر فقد ألف كتاب (جواهر الكلام في شرح عقائد الإسلام) وكذلك آل الكفائي العوام فقد نسبوا إلى كتاب جدهم الشيخ محمد كاظم الكفائي صاحب كتاب الكفاية، وكذلك السادة آل حبل المتين الذين ينسبون إلى كتاب جدهم (الحبل المتين في معجزات امير المؤمنين).

اما اسرة آل بحر العلوم فقد تناسلت من السيد محمد مهدي الطباطبائي الكبير (ت١٢١٢هـ) وقد حملت لقب جدها الذي أطلقه عليه بعض علماء عصره لما يتمتع به من أعلمية واضحة.

هناك من حوّرت ألقابهم مثل السادة آل كمونة الأعرجية فقد كان لقبهم كمكمة كما يذكر النسابة الكبير السيد عبد الرزاق كمونة والكمكمة التخفي وربما كان جدهم متخفيًا لذا لقب بـ كمكة، كذلك اسرة سته مني التي تحورت عن صدتوماني أي (مائة تومان) وكان منهم علماء أجلاء امثال الشيخ محمد سعيد صدتوماني

التصنيف الخامس: حسب أسماء العشائر الأصلية التي تنتمي إليها هذه البيوتات، مثل عشيرة العامري، السلامي، الشيباني، الأسدي، الإبراهيمي، الشافعي، الخفاجي، وغيرها من الأسر العربية الكريمة.

الفقر والجهل والعاطفة

الثالوث المظلم

بقلم: علي سعدون

تخرج بعض الصفات أو الأحوال السلبيّة من دائرة أثرها السلبيّ الفرديّ والشخصيّ وتصبح ذات أثر مجتمعيّ عامّ، وحينئذٍ تصير أكثر خطورة وفتكًا؛ لأنّها تتحوّل من كونها حالة مرضيّة فرديّة إلى وباء يعمّ المجتمع.

ويكون الحال أسوأ لو حصل ذلك لأكثر من صفة سلبيّة في زمان واحد؛ فإنّه سيكون عندنا مجموع يؤثّر أثرًا عامًّا.

ومن ذلك تحوّل الفقر والعاطفة والجهل مجتمعين إلى حالة أو ظاهرة اجتماعيّة، وما عليك إلّا أن تتصوّر مدى الأثر السلبيّ المجتمعيّ لذلك، وكيف سيكون عبئًا على كاهل الفرد والمجتمع.

ولعلّ أبرز المشاكل التي تواجه الإنسان العاقل المهتّم بوعي المجتمع ومعالجة سلبياته هو أنّه مع استشراء

الثلاثة يصبح من الصعب جدًا خلق رأي عامّ، وبعكسه يصبح من السهل جدًا خلق سخط عامّ؛ لأنّ الأوّل متوقّف على وجود وعي مجتمعيّ، وهو مفقود بسبب انتشار الجهل، والثاني يرتكز على الجهل والعاطفة وهما متوفّران.

ومن ذلك تقلّب المزاج المجتمعيّ ففي كلّ عامّ تجد ذوقًا اجتماعيًّا مخالفًا لسابقه إلى حدّ النقيض، ويُبرّز كلّ منهما بما يكفي من الحجج العاطفيّة الانفعاليّة.

ومن ذلك تقبّل الخرافات والأوهام والرؤى والمنامات حتّى يصبح لبعضها دور فاعل في حسم المواقف من قضايا مهمّة.

ومن ذلك التلوّن بلونين، لون ظاهر مع الناس، وهو مظهر الإنسان الجيّد، ولون خفيّ، حينما يسعى نحو أفعال غير جيّدة يفتقدها أو يفتقد آثارها من أجل سدّ نواقصه.

ومن ذلك السخط على من حوله، وسرعة الاتّهام للآخرين وسوء الظنّ بهم، ومدح غير اللائقين بالمدح سواء كانوا أفرادًا أم مجتمعات، والحديث عمّا هو سلبيّ وتفخيمه، حتّى يقع كثير منهم في محذور كونهم من مصاديق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ يُحبّونَ أَن تَشيعَ الفاحِشَةُ في الَّذينَ آمَنوا لَهُم عَذابٌ أَليمٌ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ والله يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمونَ﴾[1].

وفي قبال ذلك يصبح طلب العفو عن المجرم تعاطفًا إنسانيًّا ونحوًا من الرقي، متناسين حقّ المعتدى عليه وما لحقه من ضرر نفسيّ أو جسديّ أو غير ذلك من تبعات الجريمة.

بل الملاحظ أنّ هذه الثلاثة لا تنعكس على المجتمع بآثارها السلبيّة فقط، بل تتفاعل فيما بينها فيزيد بعضها من بعض، فالفقر يُعدّ قاعدة خصبة لإنتاج الجهل؛ لأنّه مع الفقر لا يوجد متّسع لزيادة الوعي والمعرفة، ويكون كلّ جهد الإنسان منصبًّا على تمشية الوضع الاقتصاديّ له ولأسرته، بل يمتدّ بشكل طبيعيّ إلى وعي الأبناء والبنات، فيصبح عدم الانتظام بالدوام المدرسيّ وضعًا طبيعيًا؛ نتيجة لعدم القدرة على سدّ النفقات الدراسيّة ممّا يضطرّ كثير من الأبناء إلى ترك التعلّم المدرسيّ الذي يُشكّل حجر الأساس في المعرفة الإنسانيّة الكسبيّة؛ بل روي عن أمير المؤمنين -عليه السلام- قوله: «الفقر يُخرس الفطن عن حجّته، والمقلّ غريب في بلدته»[2] فإذا كان الفقير الفطن النبيّه هكذا يؤثر به الفقر بحيث يمنعه عن إظهار رأيه وحجّته، فما بالك بمن كان متوسّط الذكاء والفطنة، وهم غالبيّة بني البشر! وإذا كان الفقر يجعل من الإنسان غريبًا وسط أهله فما بالك بمن يسكن الغربة أصلًا وهو فقير!

١- سورة النور: آية ١٩.

٢- نهج البلاغة: ج٤، ص٣، ح٣.

وبفقد المعرفة والنضج المجتمعيّ يفقد الإنسان أهمّ أداة لفهم ما حوله وتقييمه وأخذ الموقف منه، ويضطرّ بشكل عفويّ إلى إيجاد بديل لذلك، وهنا تبرز العاطفة كأداة مخيفة للتفاعل مع القضايا الحساسة من حولنا، سواء كانت شخصيّة أو أسريّة أو اجتماعيّة، دينيّة أو سياسية أو اقتصاديّة أو إداريّة أو نفسيّة أو صحيّة.

بل ترتدّ العاطفة لتزرع في أنفسنا قناعات خاطئة، من أخطرها القناعة بكون الفقر صفةً ليست سلبيّة، وأنّ الفقير يحضى بما يكفي من التعاطف ممّن حوله، وشخص يجد من نفسه البعد عن الاتّهام بالتعدّي على أموال الآخرين أو على الأموال العامّة، ويصبح من الطبيعيّ جدًّا أن يُعرِّف الإنسان عن نفسه بكونه فقيرًا، وهكذا لا يمتنع عن إخبار أبنائه بذلك، وهم بدورهم ينشأون عليه متقبّلين له، حتّى انّي شاهدتُ في بعض مقاطع التواصل الاجتماعيّ شابًا بائعًا متجوّلًا بعربانة يبيع فاكهة الأفوكادو، لكنّه يقول لمقدِّم البرنامج الذي التقاه: (هذا أكلّ الأغنياء والمثقفين، ولا يصلح لي ولأمثالي من الفقراء). فتراه يحرم نفسه وعائلته من هذه الفاكهة؛ لأنّه تربّى على كونه فقيرًا لا يحقّ له أن يأكل إلّا ما يُناسب الفقراء، مع

أنّ جميع الفاكهة التي عنده هي من ملكه الخاصّ، ولا يمنعه أيّ مانع من أن يأكل منها أو يأخذ إلى عائلته! نعم، هكذا تصنع التربية على المفاهيم غير السليمة.

لكن كيف لا يكون الفقر صفة سلبيّة! وقد سمعتَ من أمير المؤمنين -عليه السلام- قوله المتقدِّم وأنّ الفقر يُخرس الفطن عن حجّته، ويجعل الإنسان غريبًا بين أهله، وروي عنه قوله: «الفقر الموت الأكبر»[٣]، وقوله: «ألا وانّ من البلاء الفاقة (أي: الفقر)»[٤]، وقال لابنه محمّد بن الحنفيّة: «يا بني، إنّي أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه؛ فإنّ الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت»[٥]، وهل ما يوجب ذلك يكون أمرًا إيجابيًّا صحّيًّا؟!

ومن البديهيّ أنّا لا نعني بهذا الكلام عدم التعاطف مع الفقر والفقراء، كيف وقد ندبت الشريعة إلى حبّهم ومعونتهم، وأوجبت لهم حقًّا في مال الناس، ولكن المقصود لنا: أنّنا -نحن الفقراء- يلزمنا السعي نحو التخلّص من الفقر، وعدم التعامل معه على أنّه أمر إيجابي لا ينبغي النجاة منه.

أمّا الجهل فقبحه ظاهر، والعاطفة سلاح ذو حدّين، فمع كونها مظهرًا من مظاهر الرحمة لكن إن وظفت في غير محلّها فتكت.

٣ - نهج البلاغة: ج٤، ص١٤١، ح١٦٣.

٤ - نهج البلاغة: ج٤، ص٩٣، ح٣٨٨.

٥- نهج البلاغة: ج٤، ص٧٦، ح٣١٩.

مستشفى الكفيل التخصصي

لجنة وزارية تقيّم مستشفى الكفيل لتجديد شراكة "الاستقدام الطبي" وتوطين العلاج

تحرير : رشا الخالدي

أجرت لجنة وزارية رفيعة المستوى من قسم الاستقدام والإخلاء الطبي في وزارة الصحة، زيارة ميدانية إلى مستشفى الكفيل التخصصي بكربلاء، بهدف إعادة تقييم المستشفى وتجديد التعاقد معها، وذلك ضمن برنامج الوزارة الاستراتيجي لتوطين العلاج وتطوير الكوادر الطبية المحلية.

وذكر الدكتور أحمد عبودي، مدير القسم الفني في مستشفى الكفيل، ان هذه الزيارة تأتي بعد تعاون مثمر استمر لأكثر من ثلاث سنوات بين المستشفى وبرنامج الاستقدام الطبي، أسفر عن تحقيق قفزة نوعية في نوعية الخدمات الطبية المقدمة، موضحًا ان هذا النجاح ساهم في إدخال عدد كبير من العمليات الجراحية المعقدة داخل العراق، خاصة في مجالات جراحة العمود الفقري، وقلب الأطفال، وزراعة القرنية والعيون، والتي كانت تُجرى بالتعاون مع فرق أجنبية متخصصة.

وبين الدكتور احمد عبودي، ان «البرنامج حقق فائدتين مزدوجتين،

الأولى تمثلت في معالجة المرضى داخل بلدهم، والفائدة الأكبر هي تهيئة وتدريب كوادر عراقية لتكون قادرة في المستقبل القريب على قيادة هذه العمليات والاعتماد التام على المهارات المحلية»، مشيرا إلى ان «النتائج الطيبة والنجاحات السابقة تدفعنا للطموح بتحقيق أضعاف ما أنجزناه وصولاً لأفضل خدمة للمواطن العراقي».

من جانبه، صرّح الدكتور أحمد طباطبائي، مدير قسم الاستقدام الطبي في وزارة الصحة، ان «هذه الزيارة تأتي تطبيقاً لتوجيهات وزير الصحة الدكتور عبد الحسين الموسوي، الرامية إلى إعادة تقييم المستشفيات الحكومية والأهلية المتعاقدة مع الوزارة لتعزيز بنية القطاع الصحي»، لافتًا إلى ان «الهدف من زيارة مستشفى الكفيل هو إعادة تقييم الاختصاصات الطبية وتجديد التعاقد، كون المستشفى أثبتت طيلة الفترة الماضية أهليتها الكاملة، وقدمت خدمات طبية قاربت، وفي بعض الأحيان تفوقت على الخدمات المقدمة خارج العراق».

وأشار طباطبائي إلى ان «الوفد الوزاري التقى بالأطباء والاختصاصيين واطلع ميدانياً على التطورات التكنولوجية والبنى التحتية للمستشفى، للوقوف على أبرز النقاط للاستفادة منها».

كتاب

وحيدًا يموت الانسان

عدنان الياسري

الكتاب

هي رواية الكاتب الألماني الشهير «هانس فالادا» والتي تجسد المقاومة الفردية ضد الطغيان النازي الغاشم. تعكس الرواية شعورًا عميقًا بالوحدة الوجودية، سواء كحقيقة فسيولوجية عند الاحتضار أو كحالة شعورية مؤلمة يمر بها الإنسان في مواجهة مصيره وقسوة الحياة.

وتروي قصة حقيقية لزوجين عاديين في برلين النازية قررا المقاومة الصامتة عبر ترك بطاقات تحتوى على عبارات مناهضة لسياسات هتلر، كاشفة عن واقع مرعب مفعم بالخوف والشكوك اليومية تحت حكم الجيستابو. نُشرت هذه الرواية عام ١٩٤٩.

كما انه من الجدير بالذكر ان لهذه الرواية عنوانين باللغة الانكليزية: **Every Man Dies Alone** هو العنوان الذي أُطلق على الترجمة الإنجليزية الأولى التي نُشرت في الولايات المتحدة في عام ٢٠٠٩. أما **Alone in Berlin** هو العنوان الذي أُطلق على الترجمة الإنجليزية البريطانية التي نُشرت في نفس العام تقريبًا. إذن، كلا العنوانين صحيحان ويشيران إلى نفس الكتاب. أما العنوان الأصلي الألماني هو **Jeder stirbt für sich allein**، يُترجم حرفيًا إلى«كلٌ يموت لنفسه وحيدًا».

الكاتب

رودولف فيلهلم فريدريش ديتزن، اما اسم «هانس فالادا» فهو الاسم الادبي المستعار. كاتب ألماني عاش في النصف الأول من القرن العشرين.

ولادته

ولد في ٢١ يوليو ١٨٩٣ وهو ابن لقاض كان في طريقه ليصبح قاضيا في المحكمة العليا، وأم من عائلة متوسطة الحال، وكلاهما كانا يشتركان في شغف الموسيقى، وبدرجة أقل، بالأدب. وتشير جيني ويليامز في سيرتها الذاتية إلى أن والد فالادا كان يقرأ بصوت عالٍ لأبنائه أعمالا لمؤلفين مثل: وشيلر شكسبير.

بداية حياته

في عام ١٨٩٩، عندما كان فالادا في السادسة من عمره، انتقلت عائلته إلى برلين بعد حصول والده على أولى ترقياته، وفي عام ١٩٠٩، انتقلت العائلة مرة أخرى إلى لايبزيغ، بعد تعيين والده في المحكمة الإمبراطورية العليا.

دراسته

واجه فالادا صعوبة بالغة عند دخوله المدرسة لأول مرة عام ١٩٠١، فانغمس في الكتب، متجنبا الأدب المناسب لعمره، ومفضلا مؤلفين مثل فلوبير، ودوستويفسكي، وديكنزا.

اعماله

من أشهر رواياته «الرجل الصغير، ماذا الآن؟» (١٩٣٢) و«كل إنسان يموت وحيدًا» (١٩٤٧). تنتمي أعماله في الغالب إلى الموضوعية الجديدة الأدبية، وهو أسلوب يتميز بالأسلوب الصحفي غير العاطفي، والدقة في التفاصيل، والتقديس للحقائق.

الجوائز

حظي هانس فالادا بتقدير أدبي دولي واسع؛ إذْ رشح فالادا لجائزة نوبل في الأدب عامي ١٩٣٦ و١٩٣٩ تكريمًا لنتاجه الفكري المتميز، ونال إشادة نقاد الأدب العالميين بفضل أسلوبه الواقعي الفريد.

وفاته

بعد حياة حافلة بالصراعات النفسية والإبداع الأدبي، توفي في برلين بألمانيا في ٥ فبراير ١٩٤٧ عن عمر يناهز ٥٣ عامًا، متأثرًا بتدهور صحته قبل أسابيع قليلة من نشر روايته الشهيرة.

تمثاله

يُعدّ تمثال هانس فالادا المصنوع من البرونز إحدى أبرز المعالم التذكارية المكرسة لتخليد ذكرى الكاتب الألماني. صممه النحات الألماني ميخائيل كلاين عام ٢٠١٢ لصالح بلدية نوبينهاغن بالقرب من برلين، حيث أقيم في المدرج المفتوح أمام مبنى البلدية.

مضمون الرواية

تدور أحداث الرواية في أجواء خانقة يسيطر عليها الوحدة، الفقر، والخذلان، حيث يضع فالادا القارئ أمام حقيقة واضحة وهي: أن الإنسان، مهما أحاط نفسه بالآخرين، يواجه لحظة الانكسار والموت وحيدا. من خلال شخصياته، يستعرض الكاتب حياة بائسة تتأرجح بين الأمل والخيبة، ويكشف عن العزلة التي يعيشها الإنسان وسط مجتمع مادي، لا يرحم ولا يمنح الفرد فرصة للنجاة من قلقه واغترابه.

والرواية مستوحاة من قصة حقيقية لزوجين عاملين في برلين وهما: «أوتو وأليزا هامبل» بعد مقتل ابنهما الوحيد في الحرب، يقرر الزوجان القيام بفعل مقاومة بسيط لكنه شديد الخطورة؛ وهو: البدء بكتابة بطاقات بريدية تناهض هتلر وتركها في الأماكن العامة ببرلين. فالرواية لا تتحدث عن البطولات

العسكرية، بل عن «البطولة العادية» للإنسان البسيط الذي يقرر ألا يظل صامتًا أمام الظلم، حتى لو كان يعلم أن نهايته هي الموت. إنها تصور جو الرعب والشك الذي ساد برلين في الأربعينيات بشكل مذهل.

وأيضًا الرواية تكشف لنا أن هناك مدينة كاملة تحكمها المراقبة والوشاية والريبة، حيث يتحول الجيران إلى عيون، والحياة إلى اختبار أخلاقي دائم. تستند الرواية إلى وقائع حقيقية من ملفات الشرطة السرية النازية، وتقدم واحدة

من أعمق الشهادات الأدبية عن مقاومة الإنسان العادي للاستبداد، حين تصبح كلمة واحدة شكلاً من أشكال الحرية. يُعد هانز فالادا من أبرز الروائيين الألمان في القرن العشرين، ألّف هذه الرواية في الأسابيع الأخيرة من حياته. فهي ليست مجرد عمل أدبي، بل وثيقة إنسانية نادرة عن الشجاعة في قلب الخوف، والتمرد الفردي في وجه آلة القمع، كتبها هانس فالادا عام ١٩٤٧، قبل وفاته بقليل، مستندا إلى ملفات حقيقية من الشرطة الغستابو في برلين.

يحكي فالادا عن الزوجين البسيطين اللذين تحول حزنهما على موت ابنهما في الحرب إلى مقاومة صامتة، فكتبا بطاقات احتجاج ضد هتلر وتركوا رسائل سرية في شوارع برلين، لم يكونا أبطالاً أسطوريين، بل مجرد مواطنين عاديين قررا أن يقولا «لا» وسط خوف من الصمت.

الرواية لا تتوقف عند الحكاية فقط، بل تكشف التفاصيل اليومية للحياة : الرعب، الخيانة، الجبن، والشجاعة النادرة التي لا تُرى إلا في لحظات الاختيار الحاسم، بأسلوبه القاسي والصادق، يرسم فالادا مشهدا كاملا لمدينة تراقب، تتجسس، وتخاف؛ لكنها أيضا تنبض بقلوب صغيرة اختارت ألا تستسلم. إنها رواية عن الوحدة، عن الموت الذي لا ينجو منه أحد، وعن الأمل الذي يولد في أكثر الأماكن عتمة، عمل يقرأ كصرخة أخيرة، وكشهادة على أن الكتابة تستطيع أن تحفظ ما لم يستطع البشر قوله في زمن الرعب.

لم يكن أوتو وإليزا هامبل –وهما زوجان من الطبقة العاملة في برلين– مهتمين بالسياسة، ولكن بعد أن علمت إليزا هامبل بمقتل ابنها، شرعت هي وزوجها في القيام بأعمال عصيان مدني. بدأ بكتابة منشورات على بطاقات بريدية تحث الناس على المقاومة والإطاحة بالنازيين؛ حيث كتبا المئات منها وتركاها في سلالم المباني السكنية أو وضعاها في صناديق البريد. ورغم إدراكهما أن القانون يعتبر هذا الفعل جريمة عقوبتها الإعدام، إلا أنهما واصلا هذا العمل لأكثر من عام بقليل، حتى تعرضا للوشاية والاعتقال. وقد حوكما على يد القاضي النازي رولاند فريسلر وأُعدما في سجن «بلوتزنسي».

تتضمن الترجمة الإنجليزية نسخا مطابقة لبطاقات بريدية حقيقية كتبها الزوجان هامبل بخط اليد، مستخدمين أحرفا منفصله تشبه خط «زوتيرلين» وبأسلوب كتابة متواضع وغير متقن لقد

وقع الزوجان –اللذان لم ينالا قدرا كبيرا من التعليم– في أخطاء إملائية وكانت لغتهما بسيطة، إلا أن رسالتهما كانت قوية؛ لدرجة أنها أثارت الرعب في نفوس من عثروا على تلك البطاقات. وقد سلمت الغالبية العظمى منها فورا إلى الشرطة أو جهاز «الجستابو».

حصل فالادا على ملفات الزوجين هامبل لدى «الجستابو» من يوهانس بيشر –وهو شاعر وروائي وصديق لفالادا– الذي عاد من المنفى بعد الحرب وتولى رئاسة المنظمة الثقافية التي أسستها الإدارة العسكرية السوفيتية في القطاع الخاضع لسيطرة الاتحاد السوفيتي. وفي إطار عمله الرامي إلى خلق ثقافة جديدة مناهضة للفاشية، كان بيشر يراجع ملفات النازيين الخاصة بمقاتلي المقاومة الذين أُعدموا، ثم يبحث عن مؤلفين لكتابة هذه القصص وفقا للنموذج الجديد المناهض للفاشية. وقد سلم ملفات الزوجين هامبل إلى فالادا في خريف عام ١٩٤٥، في محاولة لمساعدته على التعافي من خلال تزويده بمادة جيدة لكتاب. وكان فالادا يعاني من مشاكل شخصية عديدة، بما في ذلك إدمان المورفين، كما سبق أن أُودع المصحات والسجون خلال الحقبة النازية بعد أن أطلق النار باتجاه زوجته السابقة أثناء شجار بينهما. في البداية، لم يرغب فالادا في كتابة القصة، معللا ذلك بأنه لم يشارك في المقاومة بل إنه تعاون مع النازيين. ومع ذلك، وعلى النقيض من العديد من الكتاب والمثقفين الذين فروا من ألمانيا النازية، شعر فالادا بارتباط وثيق باللغة والثقافة الألمانيتين حال دون مغادرته البلاد؛ وذلك رغم حثه على الفرار ووضع النازيين بعض كتبه في القائمة السوداء، علما بأنه ظل أحد أكثر مؤلفي الأدب الترفيهي نجاحا من الناحية التجارية. ونتيجة لذلك، عايش فالادا سنوات الخوف وانعدام الثقة والمخاطر التي طبعت الحياة اليومية في برلين إبان الحرب، كما أثار الجانب النفسي لقصة الزوجين «هامبل» اهتمامه، فضلا عن امتلاكه حسا مرهفا لالتقاط أسلوب الحديث البسيط للعمال العاديين. وبعد مرور عام على حصوله على الملفات، وتحديدا في خريف عام ١٩٤٦، أنجز فالادا كتاب «وحيداً يموت المرء» في غضون ٢٤ يوما فقط، ليتوفى بعد ذلك ببضعة أشهر، وقبل أسابيع قليلة من صدور الكتاب.

ملخص احداث الرواية

تدور أحداث القصة في برلين عام ١٩٤٠، إبان الحرب العالمية الثانية. ينقل

الكتاب أجواء الخوف والريبة التي كانت تخيم على ألمانيا آنذاك، مدفوعة بالتهديد المستمر بالاعتقال والسجن والتعذيب والموت. وحتى أولئك الذين لم يكونوا مهددين مباشرة بأي من هذه العقوبات، كانوا يواجهون خطر النبذ الاجتماعي والعجز عن العثور على عمل.

يتعين على (إيشريش)، وهو مفتش في جهاز (الجستابو)، العثور على مصدر مئات البطاقات البريدية التي تحث الألمان على مقاومة أدولف هتلر والنازيين؛ إذ تحمل هذه البطاقات رسائل شخصية مثل: «يا أمي! لقد قتل الفوهرر ابني. يا أمي! سيقتل الفوهرر أبناءك أيضا، ولن يتوقف حتى يزرع الحزن في كل بيت في العالم». يواجه (إيشريش) ضغوطًا شديدة من القائد النازي (برال) للقبض على صاحب هذه البطاقات، وإلا فإنه سيجد نفسه في مأزق خطير.

يسارع معظم من يعثرون على هذه البطاقات إلى تسليمها للجستابو، خوفًا من أن يكشف أمر حيازتهم لها. وفي النهاية، يتوصل (إيشريش) إلى كاتب البطاقات وزوجته، وهما (أوتو) و(آنا هومبل)، اللذان يتبين أنهما زوجان هادئان من الطبقة العاملة. لقد كان دافع الزوجين للقيام بأعمال العصيان المدني هذه هو فقدان ابنهما الوحيد الذي قتل في المعارك. يلقى القبض عليهما ويقدمان للمحاكمة أمام (محكمة الشعب) النازية برئاسة القاضي (فرايسلر). ليصدر حكم بالإعدام بحق الزوجين؛ فيعدم (أوتو) بعد فترة وجيزة، بينما تموت (هامبل) خلال غارة جوية شنتها قوات الحلفاء، وهي لا تزال بانتظار تنفيذ حكم الإعدام.

نجاح الرواية

بعد مرور ثلاثة أشهر على صدور نسختها الإنجليزية عام ٢٠٠٩، حققت الرواية نجاحًا تجاريًا مفاجئًا وتصدرت قوائم المبيعات في كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة. وقد أُدرجت ضمن قائمة أفضل ٥٠ كتابًا مبيعًا في المملكة المتحدة (التي تشمل إصدارات جميع دور النشر هناك)، وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لكتاب قديم كهذا.

وصرح أولريش ديتزن -ابن هانز فالادا البالغ من العمر ٨٠ عامًا والمحامي المتقاعد- لصحيفة (الأوبزرفر) بأنه يشعر بذهول وسعادة غامرة إزاء أرقام المبيعات الأخيرة، واصفًا الأمر بأنه (ظاهرة استثنائية). ووصفتها مجلة (الإيكونوميست) بأنها (رواية تاريخية مشوقة للغاية، تستبدل تفاهة الشر بإصرار الخير العنيد).

اقتباس من الرواية

تصعد ساعية البريد إيفا كلوغة ببطء درجات بناية شارع يابلونسكي، وهي تحمل في حقيبتها رسالة تكره تسليمها وعليها أن توصلها الى آل كونغل... كان أتو كونغل قد دخل الغرفة ومعه رسالة البريد العسكري ووضعها على ماكنة الخياطة، منتظرا أن تفتحها زوجته آنا، لأنه يعرف مدى تعلقها بأبنها الوحيد أوتو، وعندما بدأت آنا بقراءة الرسالة تغير وجهها فسألها أوتوا بقلق: هل أصاب أوتو مكروه؟ هل هو جريح؟ وهل جرحه خطير؟...

قيل في الرواية

هي واحدة من أعظم الروايات التي كتبت عن الحرب العالمية الثانية. اختبر فالادا جحيم النازية بنفسه، لذلك كل كلمة صادقة تماما.

وقيل أيضا: هي أعظم كتاب كتب عن المقاومة الألمانية ضد النازيين. الحقيقة، هذا وصف متواضع. بل إنها رواية قوية، وكثيفة، تمسك وكأنها مشحونة بالكهرباء.

وقيل أيضا: تحمل رواية وحيدا يموت الإنسان ذات التوتر الذي نقابله في روايات جون لو كاريه، وتقدم صورة مؤلمة ومرعبة عن الشكوك التي خيمت على الحياة اليومية في ألمانيا خلال الحرب.

وقيل أيضا: واحدة من أكثر الأعمال الأدبية أصالة عن الحياة خلال كابوس النازية الطويل.

وقيل أيضا: قالت نيويورك تامز: إن صدور هذه الرواية لهو حدث أدبي بارز، يقدم رؤى ثاقبة لرجل مضطرب في زمن مضطرب، بتفاصيل وفهم يفوق ما قدمه معظم مؤرخي تلك الحقبة. وكأنك برفقة روح حكيمة، جادة، تمسك بذراعك وتهمس في أذنك: هكذا كانت الأمور هذا ما حدث.

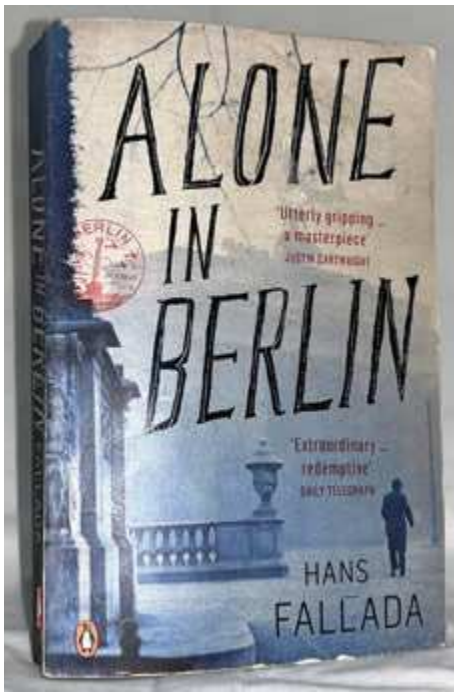

الحلقة الحادية عشرة

مفاهيم قرآنية

الشيخ علي الغزي

يُؤثرون على أنفسهم

تقدّم الحديث في الحلقة السابقة عن مفردة (أثر) وأنّ لها ثلاثة معانٍ، ولا زال الحديث متعلّقًا بالمعنى الثاني (التفضيل والتقديم)، والتعرّض لما ورد فيه من الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ تَبَوَّءُوا الدّارَ وَالإيمانَ من قَبلهم يُحبّونَ مَن هاجَرَ إلَيهم وَلا يَجدونَ في صُدورهم حاجَةً ممّا أوتوا وَيُؤثرونَ عَلى أنفُسهم وَلَو كانَ بهم خَصاصَةٌ وَمَن يوقَ شُحَّ نَفسه فَأُولئكَ هُمُ المُفلحونَ﴾[1]، أي: يُقدّمون على أنفسهم ما كان خاصًّا بهم إلى غيرهم.

وقد وردت هذه الآية في بيان صفة الأنصار، كما يشهد به صدرها، ويؤيّده ما رواه محمّد بن قيس، عن «أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر(ع) قال: صلّى رسول الله(ص) ذات يوم بأصحابه الفجر، ثمّ جلس معهم يحدّثهم حتّى طلعت الشمس، فجعل الرجل يقوم بعد الرجل حتّى لم يبق معه إلّا رجلان، أنصاري وثقفي، فقال لهما رسول الله(ص): قد علمت أنّ لكما حاجة، تريدان أن تسألاني عنها، فإن شئتما أخبرتكما بحاجتكما قبل أن تسألاني، وإن شئتما فاسألاني. قالا: بل تخبرنا أنت يا رسول الله؛ فإنّ ذلك أجلى للعمى، وأبعد من الارتياب، وأثبت للايمان. فقال رسول الله(ص): أمّا أنت –يا أخا الأنصار– فإنّك من قوم يؤثرون على أنفسهم، وأنت قرويّ، وهذا الثقفيّ بدويّ، أفتؤثره بالمسألة؟ فقال: نعم»[2].

وقد ورد في فيها خمس روايات:

أحدها: رواية جميل، عن «أبي عبد الله(ع) قال: سمعته يقول: إنّ ممّا خصّ الله –عزَّ وجلَّ– به المؤمن أن يُعرِّفه برّ إخوانه وإن قلّ، وليس البر بالكثرة، وذلك أنّ الله –عزَّ وجلَّ– يقول في كتابه: ﴿وَيُؤثرونَ عَلى أنفُسهم وَلَو كانَ بهم خَصاصَةٌ﴾ ثم

١ – سورة الحشر: آية ٩.

٢ – أمالي الصدوق: ص٦٤٢–٦٤٣، ح٢٢.

قال: ﴿وَمَن يوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفلِحونَ﴾، ومن عرفه الله -عزَّ وجلَّ- بذلك أحبّه الله، ومن أحبّه الله تبارك وتعالى وفاه أجره يوم القيامة بغير حساب. ثمّ قال: يا جميل، ارو هذا الحديث لإخوانك؛ فإنّه ترغيب في البرّ»[٣].

الظاهر منها أنّ المراد فيها هو الإيثار بالقليل، لا لأنّ الإيثار لا يتحقّق إلّا به، بل بملاحظة خصوصيّته بهم، فإنّه مع الكثرة لا تتحقّق الخصوصيّة؛ لفرض وجود البديل عنه، وسيأتي تأكيد ذلك في الرواية اللاحقة.

ثانيها: معتبرة سماعة قال: «سألت أبا عبد الله[٤] عن الرجل ليس عنده إلّا قوت يومه، أيعطف من عنده قوت يومه على من ليس عنده شيء، ويعطف من عنده قوت شهر على من دونه، والسنة على نحو ذلك أم ذلك كلّه الكفاف الذي لا يلام عليه؟ فقال: هو أمران، أفضلكم فيه أحرصكم على الرغبة والإثرة على نفسه، فإنّ الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿وَيُؤثِرونَ عَلى أَنفُسِهِم وَلَو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ﴾، والأمر الآخر لا يلام على الكفاف، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»[٤].

وهي ظاهرة في أنّ الإيثار مستحبّ، وأنّ تركه من أجل الكفاف لا يُلام عليه.

ثالثها: معتبرة أبي بصير، عن «أحدهما -عليهما السلام- قال: قلت له: أيّ الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل، أما سمعت قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَيُؤثِرونَ عَلى أَنفُسِهِم وَلَو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ﴾ ترى ههنا فضلًا»[٥].

ظاهره أنّ الإيثار يتحقّق بالتصدّق مع القلّة، وأنّه من أفضل الصدقة.

رابعها: المرسل عن جميل بن دراج قال: «سمعت أبا عبد الله -عليه السلام- يقول: خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيمان البرّ بالإخوان والسعي في حوائجهم، وإنّ البار بالإخوان ليحبّه الرحمن، وفي ذلك مرغمة للشيطان وتزحزح عن النيران ودخول الجنان.

يا جميل، أخبر بهذا غرر أصحابك.

قلت: جُعلت فداك، من غرر أصحابي؟

قال: هم البارون بالإخوان في العسر واليسر، ثمّ قال: يا جميل، أما إنّ صاحب الكثير يهون عليه ذلك، وقد مدح الله -عزَّ وجلَّ- في ذلك صاحب القليل فقال: في كتابه: ﴿وَيُؤثِرونَ عَلى أَنفُسِهِم وَلَو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ وَمَن يوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفلِحونَ﴾»[٦].

وظاهره أنّ الإيثار يُحقّق البرّ بالإخوان.

٣- الكافي: ج٢، ص٢٠٦، ح٦.
٤- الكافي: ج٤، ص١٨، ح١.
٥- الكافي: ج٤، ص١٨-١٩، ح٣.
٦- الكافي: ج٤، ص٤١-٤٢، ح١٥.

خامسها: رواية مسعدة بن صدقة قال: «دخل سفيان الثوريّ على أبي عبد الله(ع) فرأى عليه ثياب بيض كأنّها غرقئ البيض، فقال له: إنّ هذا اللباس ليس من لباسك، فقال له: اسمع مني وع ما أقول لك؛ فإنّه خير لك عاجلًا وآجلًا إن أنت متّ على السنة والحقّ ولم تمت على بدعة، أخبرك: أنّ رسول الله(ص) كان في زمان مقفر جدب، فأمّا إذا أقبلت الدنيا فأحقّ أهلها بها أبرارها لا فجارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفارها، فما أنكرت -يا ثوريّ- فوالله إنّني لمع ما ترى ما أتى عليّ مذّ عقلت صباح ولا مساء ولله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعًا إلّا وضعته.

قال: فأتاه قوم ممّن يظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشّف، فقالوا له: إنّ صاحبنا حصر عن كلامك، ولم تحضره حججه.

فقال لهم: فهاتوا حججكم.

فقالوا له: إنّ حججنا من كتاب الله.

فقال لهم: فأدلوا بها؛ فإنّها أحقّ ما اتبع وعمل به.

فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبرًا عن قوم من أصحاب النبيّ -صلى الله عليه وآله-: ﴿وَيُؤثِرونَ عَلى أنفُسِهِم وَلَو كانَ بِهِم خَصاصَةٌ وَمَن يوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفلِحونَ﴾ فمدح فعلهم، وقال في موضع آخر: ﴿وَيُطعِمونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسكينًا وَيَتيمًا وَأَسيرًا﴾ فنحن نكتفي بهذا.

فقال رجل من الجلساء: إنّا رأيناكم تزهدون في الأطعمة الطيّبة ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتّى تمتعوا أنتم منها؟

فقال أبو عبد الله(ع): دعوا عنكم ما لا تنتفعون به، أخبروني أيّها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضلّ من ضلّ، وهلك من هلك من هذه الأمة؟

فقالوا له: أو بعضه فأمّا كلّه فلا.

فقال لهم: فمن هنا اتيتم، وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأمّا ما ذكرتم من إخبار الله -عزَّ وجلَّ- إيّانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعالهم فقد كان مباحًا جائزًا، ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منه على الله -عزَّ وجلَّ-، وذلك أنّ الله -جلّ وتقدّس- أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخًا لفعلهم، وكان نهى الله -تبارك وتعالى- رحمةً منه للمؤمنين ونظرًا لكيلا يضرّوا بأنفسهم وعيالاتهم منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع، فإن تصدقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعًا، فمن ثَمّ قال رسول

الله(ص): خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان وهو يريد أن يمضيها فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه، ثمّ الثانية على نفسه وعياله، ثمّ الثالثة على قرابته الفقراء، ثمّ الرابعة على جيرانه الفقراء، ثمّ الخامسة في سبيل الله، وهو أخسّها أجرًا. وقال رسول الله(ص) للأنصاري حين أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار: لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفنوه مع المسلمين، يترك صبية صغارًا يتكففون الناس.

ثمّ قال: حدّثني أبي أنّ رسول الله(ص) قال: أبدأ بمن تعول، الأدنى فالأدنى.

ثمّ هذا ما نطق به الكتاب ردًّا لقولكم ونهيًا عنه مفروضًا من الله العزيز الحكيم، قال: ﴿وَالَّذينَ إذا أَنفَقوا لَم يُسرِفوا وَلَم يَقتُروا وَكانَ بَينَ ذلِكَ قَوامًا﴾ أفلا ترون أنّ الله تبارك وتعالى قال غير ما أراكم تدعون الناس إليه من الأثرة على أنفسهم، وسمّى من فعل ما تدعون الناس إليه مسرفًا، وفي غير آية من كتاب الله يقول: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفينَ﴾ فنهاهم عن الإسراف ونهاهم عن التقتير، ولكن أمر بين أمرين، لا يعطي جميع ما عنده، ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له للحديث الذي جاء عن النبي(ص): إنّ أصنافًا من أُمّتي لا يُستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو على والديه، ورجل يدعو على غريم ذهب له بمال فلم يكتب عليه ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله -عزَّ وجلَّ- تخلية سبيلها بيده، ورجل يقعد في بيته ويقول: ربّ ارزقني ولا يخرج ولا يطلب الرزق فيقول الله -عزَّ وجلَّ- له: عبدي ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري ولكيلا تكون كلا على أهلك، فإن شئت رزقتك وإن شئت قترت عليك، وأنت غير معذور عندي، ورجل رزقه الله مالًا كثيرًا فأنفقه ثمّ أقبل يدعو يا ربّ ارزقني فيقول الله -عزَّ وجلَّ-: ألم أرزقك رزقًا واسعًا فهلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف وقد نهيتك عن الإسراف، ورجل يدعو في قطيعة رحم.

ثمّ علَّم الله -عزَّ وجلَّ- نبيّه(ص) كيف ينفق، وذلك أنّه كانت عنده أوقية من الذهب فكره أن يبيت عنده فتصدّق بها فأصبح وليس عنده شيء وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيمًا رقيقًا، فأدّب الله تعالى نبيّه(ص) بأمره فقال: ﴿وَلا تَجعَل يَدَكَ مَغلولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبسُطها كُلَّ البَسطِ فَتَقعُدَ مَلومًا مَحسورًا﴾ يقول: إنّ الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فإذا

أعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال.

فهذه أحاديث رسول الله(ص) يصدقها الكتاب، والكتاب يصدقه أهله من المؤمنين.

وقال أبو بكر عند موته حيث قيل له: أوص فقال: أوصي بالخُمس، والخُمس كثير، فإنّ الله تعالى قد رضي بالخمس فأوصى بالخمس. وقد جعل الله عز وجل له الثلث عند موته ولو علم أنّ الثلث خير له أوصى به.

ثمّ من قد علمتم بعده في فضله وزهده سلمان وأبو ذر –رضي الله عنهما– فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاه رفع منه قوته لسنته حتّى يحضر عطاؤه من قابل، فقيل له: يا أبا عبد الله، أنت في زهدك تصنع هذا، وأنت لا تدري لعلّك تموت اليوم أو غدًا! فكان جوابه أن قال: مالكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي الفناء، أما علمتم يا جهلة أنّ النفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمانت.

وأمّا أبو ذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم أو نزل به ضيف أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشياه على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضّل عليهم.

ومن أزهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله(ص) ما قال ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئًا البتّة كما تأمرون الناس بإلقاء أمتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على أنفسهم وعيالاتهم.

واعلموا أيها النفر أنّي سمعت أبي يروي عن آبائه(ع): أنّ رسول الله(ص) قال يومًا: ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن، أنّه إن قُرِضَ جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيرًا له، وإن ملك ما بين مشارق الأرض ومغاربها كان خيرًا له، وكل ما يصنع الله –عزَّ وجلَّ– به فهو خير له.

فليت شعري، هل يحيق فيكم ما قد شرحت لكم منذ اليوم أم أزيدكم؟

أما علمتم أنّ الله –عزَّ وجلَّ– قد فرض على المؤمنين في أوّل الأمر أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ليس له أن يولي وجهه عنهم ومن ولاهم يومئذٍ دبره فقد تبوأ مقعده من النار، ثمّ حوّلهم عن حالهم رحمةً منه لهم فصار الرجل منهم عليه أن يقاتل رجلين من المشركين؛ تخفيفًا من الله –عزَّ وجلَّ– للمؤمنين فنسخ الرجلان العشرة.

وأخبروني أيضًا عن القضاة: أجورة هم؟ حيث يقضون على الرجل منكم نفقة امرأته إذا قال: إنّي زاهد، وإنّي لا شيء لي، فإن قلتم: جورة ظلمكم أهل الإسلام، وإن

قلتم: بل عدول خصمتم أنفسكم، وحيث تردون صدقة من تصدّق على المساكين عند الموت بأكثر من الثلث.

أخبروني: لو كان الناس كلّهم كالذين تريدون زهادًا لا حاجة لهم في متاع غيرهم فعلى من كان يُتصدّق بكفارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة من الذهب والفضة والتمر والزبيب وسائر ما وجب فيه الزكاة من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك إذا كان الأمر كما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئًا من عرض الدنيا إلّا قدمه وإن كان به خصاصة.

فبئسما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله -عزَّ وجلَّ- وسنة نبيّه(ص) وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل وردّكم إيّاها بجهالتكم، وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي.

وأخبروني: أين أنتم عن سليمان بن داود(ع) حيث سأل الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله -جلّ اسمه- ذلك، وكان يقول الحقّ ويعمل به، ثمّ لم نجد الله -عزَّ وجلَّ- عاب عليه ذلك ولا أحدًا من المؤمنين، وداود النبيّ(ص) قبله في ملكه وشدّة سلطانه، ثمّ يوسف النبيّ(ص) حيث قال لملك مصر: ﴿اجعَلني عَلى خَزائِنِ الأَرضِ إِنّي حَفيظٌ عَليمٌ﴾ فكان من أمره الذي كان أن اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن، وكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم، وكان يقول الحقّ ويعمل به، فلم نجد أحدًا عاب ذلك عليه، ثمّ ذو القرنين عبد أحبّ الله فأحبّه الله وطوى له الأسباب وملّكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان يقول الحقّ ويعمل به، ثمّ لم نجد أحدًا عاب ذلك عليه.

فتأدّبوا أيّها النفر بآداب الله -عزَّ وجلَّ- للمؤمنين، واقتصروا على أمر الله ونهيه، ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به، وردوا العلم إلى أهله توجروا وتعذروا عند الله تبارك وتعالى، وكونوا في طلب علم ناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه وما أحل الله فيه ممّا حرّم؛ فإنّه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل، ودعوا الجهالة لأهلها فإنّ أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل، وقد قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَفَوقَ كُلِّ ذي عِلمٍ عَليمٌ﴾»[٧].

وهي ظاهرة في ذمّ التشدّد في العمل بما هو مستحبّ بحيث يُعامل معاملة الواجب، ويُطلب من الجميع الالتزام به إلى حدّ ذمّ من لا يعمل به.

٧ - الكافي: ج٥، ص٦٥-٧٠، ح١.

أسئلة يجيب عنها بعض أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف

ملحوظة: الأجوبة وفق فتاوى المرجع الديني الأعلى

السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله)

السؤال:

ما هي اثار تحلّي المسلم بمكارم الاخلاق؟

الجواب:

من صفات المؤمنين الصالحين التحلي بمكارم الأخلاق تأسِّياً بالنبي الكريم محمد(ص) الذي وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم).

فقد قال رسول الله(ص) «ما يوضع في ميزان يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»، وروي أنه قيل له (صلى الله عليه وآله) «أي المؤمنين أفضلهم إيمانا؟ قال: أحسنكم خلقا».

ومن صفات المؤمنين الصالحين كذلك: الصدق في القول والعمل، والوفاء بالوعد، فقد أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه إسماعيل(ع) فقال فيه: (إنَّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا).

وقال الرسول الكريم(ص): «من كان يؤمن بالله وباليوم الاخر فليف إذا وعد».

وتبدو أَهمية الصدق والوفاء بالوعد إذا عرفنا أن كثيرا من غير المسلمين يحكمون على الإسلام من خلال سلوك المسلمين، فما أكثر ما أحسن مسلم عرض إسلامه لغير المسلمين من خلال سلوكه الحسن، وما أكثر ما أساء مسلم لإسلامه من خلال سلوكه السيء.

واحة الدين

هذه الصفحة مخصصة للإجابة عن أسئلة القراء الدينية بشكل عام، يمكنكم ارسال اسئلتكم على:

+964 780 779 0073

E.mail:najafmag@gmail.com

السؤال:

ما رأي سماحتكم في رجل استودع مائة دينار عند شخص اخر وهذا الاخير تصرف بالمبلغ من دون اذن وادخله في عمله التجاري واستحصل على ارباح، وبعد ذلك طالبه المالك فارجع المائة.. ولكن ليست هي بنفسها كما هو معلوم ما حكم هذه المعاملة؟ وهل يجب عليه اخبار المالك؟ وما حكم الربح المستحصل من المبلغ الاصلي؟

الجواب:

ان الودعي وان كان بتصرفه في الوديعة آثمًا وضامنًا لمثلها حيث لا يتيسر ارجاعها بعينها ولكنه اذا دفع المثل الى المودع تبرأ ذمته، واما الارباح فهي عائدة اليه وليس شيء منها للمودع. هذا اذا كان الشراء جاريًا على ما هو المتعارف من جعل الثمن كلياً في الذمة والوفاء من المال الخارجي واما اذا اجريت المعاملة على المال الشخصي فللمالك (المودع) امضاء المعاملة الفضولية فتكون العين المشتراة له فاذا أمضى بيعها من قبل الودعي كان الثمن بكامله له.

السؤال:

هل يجوز تحسين الأمانة بدون علم صاحبها، مثلاً نجلّد كتاب معيّن دون إذن صاحبه؟

الجواب:

لا يجوز ذلك إلّا إذا قطع برضاه.

السؤال:

هل يحقّ لي التصرّف بالأمانة من دون الاستئذان من أصحابها؟

الجواب:

إذا لم تكن واثقاً برضاهم بتصرّفك فيها ويئست من الوصول إليهم في المستقبل المنظور فأنت مأذون بالتصدّق بها على الفقراء المتدينين.

السؤال:

شخص أودع بضاعة عند شخص آخر بعنوان الامانة، ثم احترق المحل الذي توجد فيه الوديعة ومعه الوديعه، بشيء من الاهمال من ابن الودعي، فهل يجب على الودعي التعويض عن تلك البضاعة بمثلها أو بقيمتها؟

الجواب:

اذا لم يكن الودعي مقصرًا في الحفظ فلا ضمان عليه.

السؤال:

إذا وعدَ أحد الشريكين شريكه بأن يهبه دكاناً في حصته ومات الواهب قبل الوفاء بوعده. هل يحق للشريك ان يطالب ورثة شريكه المتوفى بالهبة ؟

الجواب:

ليس له الحق في ذلك.

تمور الكفيل
ALKAFEEL

جودة تستحق ثقتك

شركة الكفيل للصناعات الغذائية – 0772 721 02 62 0773 004 00 28

النجف الأشرف